مبادئ

فكّ التأزُّمات

تأليف

أ د. عقيل حسين عقيل

2018

(خُلق الإنسان من طينٍ يفكِّر ففكّر وإن كان عقلك من طينٍ)

د. عقيل حسين عقيل

المحتويات

الإهداء 4

المقدِّمة..... 5

مبدأ نيل الاعتراف 7

مبدأ تبادل الاحترام 14

مبدأ ردّ الاعتبار 20

مبدأ استشعار التفهُّم..... 28

مبدأ غرس الثّقة..... 36

مبدأ التماس الاستيعاب 47

مبدأ استبصار التقبُّل 65

مبدأ إحراز التقدير 71

مبدأ تفخيم الكرامة..... 89

مبدأ تعزيز الموضوعية 98

مبدأ تفعيل المشاركة 109

مبدأ ترسيخ الشفافية 129

صدر للمؤلّف 132

المؤلّفات 132

المؤلّف في سطور..... 146

الإهـداءُ

إلى الوطنيينَ الكرام

أصحابِ المبادئِ الرَّفيعةِ الذين

يُميّزونَ بين قمَّةِ الوطنِ وقمَّةِ السُّلطان

وبين أنشـودةِ الـوطنِ وأُغـنيـة القبيـلـة

إلى منبعِ الكلماتِ الجامعة عُمر علي الصّيد المزروعي

الذي قال:

(مايجيـبـها رقـص رقَّـاص ولا فـرسـنة في الأغـاني

ولا لسان وسواس خنَّاس يحذِّف بضرب المعاني

تبي أسلوب يجمع النّاس القاصي ويجمع الداني)

إليـــكم مـــع فـائـــق التـقـديـر

د. عقيل حسين عقيل

2018م

المقدِّمة

استنادا على أنّه لا مشكل إلّا وله حلّ جاء عنوان مؤلفنا: (مبادئ فكّ التأزّمات بين الأنا والآخر)؛ ذلك لأنَّ طبيعة الخَلق البشري الاختلاف الذي لا يكون إلّا تنوّعا في المعرفة والمقدرة وما يؤدّي إلى الارتقاء أو ما يؤدّي إلى الدّونية؛ ممّا يستوجب التقاء الأنا والآخر على موائد المعرفة أو طاولات الحوار والنقاش والتجادل برهانا وحجّة، بهدف تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة، وبغاية بلوغ المأمول المشترك ونيله معا.

ولأنّ من طبائع البشر القبول والرّفض ظلّ الاختلاف بينهم بين تسامح وتجاوز، وبين تشبّتٍ وعصبية، فولّد بينهم الخلاف نزاعا وصداما واقتتالا؛ ومن هنا ولدت التأزمّات بين المختلفين (الأنا والآخر) فجعلت الهوة بينهما تزداد عداء، وبدأت المظالم تنتشر باطلا بلا حجّة؛ فعطّلت ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات عن العمل؛ ممّا دعا الضّرورة إلى القبول بتقديم التنازلات على أيدي الرّاشدين في بيئة الخلاف.

فكان الاعتراف مطلبا بين الأنا والآخر لأيّ تسوية وتصالح، وظل مطلبا إلى أن تمّ نيله، وأصبح مبدأ لا تحلّ الخصومات والصدامات إلّا وهو في الصدارة (فإن اعترفت أنّ الحقوق تمارس اعترف لك بحقوقك، وإن اعترفت أنّ الواجبات تؤدّى، اعترف لك بواجباتك، وإن اعترفت أنّ المسؤوليات تحمْل اعترف لك بمسؤولياتك) وفي المقابل فإن لم تعترف سيزداد عدد المتاريس بيننا.

ولأجل إزالة التمترس بين الأنا والآخر كان الاحترام مطلبا (احترمني أحترمك، وإن لم تحترمني فلا تنتظر احتراما منّي). أقرّ هذا المبدأ عن رغبة متبادلة بين المتخالفين الذين تمسّكوا به وبمبدأ ردّ الاعتبار في حالة أي خطأ يرتكب وممن

يرتكب. ومن هنا بدأت مفاتيح فكّ التأزّمات تُمكّن من التفهّم وغرس الثقة من أجل مستقبل مشترك لا يتحقّق إلّا بتفهّم الظروف التي جعلت للأنا خصوصية بها يتميّز عن غيره، كما غيره عنه يتميّز.

ولأنّ مبادئ فكّ التأزّمات لا تلد إلّا من قيم مقدّرة جاء التماس الاستيعاب مبدأ متكئا على مبدأ استشعار التفهّم الذي من بعده جاء مبدأ استبصار التقبّل ضرورة بين المختلفين والمتخالفين.

ولأنّ طبيعة البشر بين إيجابية تُتّبع وسلبية تُسلك، كان التميّز نتاج المنافسة وتحدّي الصّعاب، وكان الفشل نتاج الإهمال والمفسدة، فولّد خلافا من بعد خلاف، ولكن حُسم أمره بأنَّ التقدير حقّ لا ينبغي أن يحرم منه متفوّق ومتميّز، ومن هنا أصبح إحراز التقدير مبدأ به ينال الفائزون الجوائز تقديرا واعترافا.

ولأنَّ للمعتقد أثرا، وللعرف أثرا، وللعادة أثرا، وللتاريخ أثرا ترسّخت قيمة الكرامة وأهميّتها شرعةً ومنهاجًا، ممّا جعل المساس بها في مواجهة القوانين التي تعزّز الحفاظ عليها موضوعيّا ولا انحياز إلى الأنا على حساب الآخر.

إن ترسيخ هذه المبادئ لم يكن نتاج عقد بشري، بل نتاج الدين والعرف والعادة التي تمّ استلهام الدساتير والقوانين منها لتنظم علاقات النّاس أفرادا وجماعات ومجتمعات وشعوبا وبشريّة. ولهذا فعّلت المشاركة وبكلّ شفافيّة.

أ. د. عقيل حسين عقيل

كلية الآداب جامعة طرابلس

2018م

مبدأ

نيل الاعتراف

الاعتراف قيمة إثبات وجود الآخر الذي له من الأهمية ما يساوي أهمية الآخرين، وهي القيمة الانتشارية التي يرغب الكل في نيلها من الكل؛ فهي تربط الفرد بالمنزلة، وتربط الخصوصية بالمكانة.

ومع أنَّ العبودية من المحرمات الإنسانية فأنّ الذي تجبره الحاجة على قبول العبودية يريد هو الآخر أن يعترف له سيده بأنّه عبدٌ ناجحٌ؛ ولذلك فإنّ جميع النّاس يريدون نيل الاعتراف من الجميع. ومن هنا نجد الوالدين يخلصان في رعاية أبنائهما؛ لكي ينالا منهم الاعتراف. ويحاول الأبناء أن يكونوا صالحين لكي ينالوا الاعتراف أولا من آبائهم، وثانيا من الآخرين. وهكذا المسؤول الديمقراطي يكد ويجد لكي ينال الاعتراف من ذوي العلاقة به. وفي مقابل ذلك نحتفظ بأنّ لكل قاعدة شواذّ.

ولذا فمن الضرورة أن يُحسّس الأنا الآخر بأهميته، وأن يعترف له بوجوده وبمقدرته على العمل والمشاركة والتفاعل والعطاء إلى النهاية؛ لأنَّ الاعتراف المتبادل يقوي العلاقة بينهما ويسهم في غرس الثّقة.

وعليه: تمكين أفراد الشّعب من نيل الاعتراف بأنّ لهم حقّوقا، يمكّنهم من ممارستها، وأنّ لهم واجبات يمكّنهم من أدائها، وأنّ لهم مسؤوليات يمكّنهم من حملها وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جسام. وهكذا لعب الأدوار يزيد المجتمع وحدة وتماسكا. وهكذا الاعتراف بما يقوم به أفراد المجتمع من جهود ناجحة يزيد من عطائهم الموجب، ويدفعهم إلى المنافسة الشاملة.

وبما أنَّ نيل الاعتراف بما يلعبه الأفراد والجماعات من أدوار موجبة يزيد من عطائهم الموجب ويمكّنهم من التفاعل والتعاون. إذن نيل الاعتراف ضرورة فلا ينبغي لنا إغفاله.

وبما أنّ القاعدة المنطقية تقول:

. الفرد قوّة.

. الجماعة أقوى.

. المجتمع أكثر قوّة.

وفي مقابل ذلك الاستثناء يقول:

. المجتمع ضعيف.

. الجماعة أضعف.

. الفرد أكثر ضعفا.

إذن: الاعتراف إقرار بوجود، وجهود، وحقّوق، ومقدرة، ومكانة، ومعرفة، وهذه في ذاتها مكامن قوّة فلا ينبغي إغفال عن أهميتها عند رسم الخطط والاستراتيجيات على أيّ مستوى من المستويات الشّعبية أو الإنسانية.

الاعتراف يحقّق النُّقلة النوعية: ولأنّ نيل الاعتراف يحقّق النُقلة النوعية، فهو الممكّن من تجاوز المستويات القيمية الواردة في تصنيف تحليل القيم (الذاتية – الانسحابية – الأنانية) إلى المستوى القيمي التطلعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حجّة في الحوار،

وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلقة بالعلائق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبالعلائق النفسية والذوقية والثقافية.

لذا فالاعتراف بما يُبذل من جهد موجب، يؤدّي إلى تحقيق الطمأنينة النفسية والرضاء النفسي ويغرس الثّقة التي تمدّ الإنسان بالمزيد من العطاء الموجب؛ ولهذا فالاعتراف قيمة، ونيله مبدأ.

ولأنّ الاعتراف قيمة، ونيله مبدأ، يؤكد فرنسيس فوكوياما أنّ الرغبة في الاعتراف والتقدير باعتبارهما المحركين للتاريخ من وجهة النظر الليبرالية هما الحلقة المفقودة بين الاقتصاد الليبرالي والسياسة الليبرالية. وكذلك يؤكّد هيجل كيف أنّ رغبة الإنسان في سبيل نيل الاعتراف والتقدير قد زجت به في فجر التاريخ في معركة دموية من أجل المنزلة[1].

ولأنّ نيل الاعتراف مبدأ قيمي رفيع، فالكل يسعى إلى نيله حتى وإن كانوا عبيدا؛ فالعبد على سبيل المثال: في الوقت الذي يقبل فيه بالعبودية، يأمل أن يكون سيده راضيا عنه، ولهذا يكدّ ويجدّ ويتحمّل التعب من أجل شيء مهم جدا، هو نيل الاعتراف من سيده بأنّه عبد مخلص ومطيع ومهذّب. ولذا فهو لا ينبسط إلا بانبساط سيده منه. وهكذا حال المتعلّمين الذين يتنافسون على أخذ الصدارة والفوز بها، تراهم يبذلون الجهود المثمرة (المحقّقة للفوز) من أجل أن ينالوا الاعتراف والتقدير من والديهم ومن ذوي العلاقة بهم ومن محيطهم الاجتماعي والإنساني، وإلّا لماذا يبذلون المزيد من الجهد؟ وهكذا حال من يقول الحقّ، أو يعدل إذا حُكّم أو حكم، أو إذا عمل أو حتّى تصوّف وتعبّد بموضوعية، أو أنّه شارك في المنافسات والمناشط المتعددة (الرياضية والفنية والثقافية والعلمية

[1] فرنسيس فوكو ياما، الثقة، ص 174.

والجمالية)؛ فجميع هؤلاء ومن على مثلهم يسعون لنيل الاعتراف تمييزا وتميُّزا عن الفاشلين.

وعليه: ـكن إيجابيًّا لتنال الاعتراف. ـكن متفهِّمًا لتحدث النُقلة.

ـ اعترف بالآخرين يتمَّ الاعتراف بك.

ـ ثق أنَّ الاعتراف يحقّق قيمة التقبّل.

ـ ثق أنّ الجحود مفسدة.

ثق أنّ مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

وعليه: يعدّ الاعتراف بالآخر منبعا من منابع تحقيق الأمل؛ لأنَّ الاعتراف قيمة حميدة والجميع يأمله، ولكن في الوقت الذي يأمله الجميع، هناك من لا يأمل أن يتمّ الاعتراف بالمختلفين والمخالفين، ولأنّ نيل الاعتراف مأمول؛ ينبغي أن تُعظّم قيمته وتفخّم حتى تسود بين النّاس.

ولأنّ الاعتراف بالآخر قيمة حميدة؛ لذا، نجد الكثير من النّاس يجتهدون من أجل أن يُعترف لهم بأنّهم مميّزون، وذلك بما لهم من ملكات وقدرات جعلتهم يتبوؤون المراتب الأولى على أقرانهم، ممّا يدعو المقدّرين لأهمية التميّز إلى الاعتراف لهم بذلك، والشدّ على أيديهم، ومساندتهم من أجل بلوغ المواقع الإدارية والمهنية والعلمية التي من خلالها يستطيعون إظهار مهاراتهم وقدراتهم في أداء المهام التي تناط بهم.

ولهذا، فمن يبذل جهدا متميّزا عن الآخرين يتمكّن من نيل الاعتراف منهم مع وافر التقدير عندما تكون مقاييسهم موضوعية. ومن هنا، وجب على المسؤول "أن يُشعِرَ مواطنيه أفرادا وجماعات بأهميّته مسؤولا مقدّرا، وذلك بإحقاقه

الحقّ، وعدله، وسماحته، وحِلمه، ولين جانبه، كي يعترف له مواطنوه الذين ارتضوه حَكما بمقدرته على العمل، والعطاء للوطن إلى النّهاية، وفقا لقواعد الدّستور المشرّع من قبل الجميع، حيث لا تغييب ولا إقصاء ولا حرمان"[2].

فقيمة الاعتراف لها من الأثر النفسي والمعنوي ما يكفي لقبول التحدّي وخوض الصّعاب من أجل ما يفيد وينفع، وفي المقابل عدم الاعتراف بالتميّز يؤدّي إلى إحباط نفسي ومعنوي يعيد المتحدّي إلى المربّع الأول وكأنّه لم يكن كما كان عليه.

الاعتراف مؤسّس لقاعدة (نحن معا):

مع أنَّ قاعدة (نحن معا) مُعطية إنسانية أخلاقية، فإنّها في بعض الأحيان تسود داخل الوطن، ولا تسود بين الأنا والآخر، ذلك بأسباب امتداد الأنا على حساب الحيّز الخاصّ بالآخرين؛ فتصبح المضايقات، في الحركة والسّكون، والمأكل والمشرب، والمنام والصّحوة، ممّا يدفع المختلفين والمخالفين على المستوى الدّاخلي، أو الخارجي إلى إعطاء التنازلات، بداية من أجل تفادي المؤلم، ثمّ من أجل اغتنام الفرصة عندما تتاح إلى أن يتمّ نيل الاعتراف سياسة واقتصادا واجتماعا.

إنَّ قاعدة (نحن معا) قاعدة مؤسّسة على بناء الذّات العامّة، التي تنشأ وتمتدّ في المجال العلائقي الاجتماعي، ثمّ تنمو في الضمير جنبا إلى جنب مع نمو العاطفة، وتتّسع مع اتساع دائرة المعارف على مستوى الأسرة، والقرابة، والجيرة، والأصدقاء، وبني الوطن والإنسانية بأكملها، وعندما تتوقّف ثقافة الفرد عند حدّ

[2] المصدر السابق، ص 140.

المستوى الذاتي وتقف عنده، ولا تتطلّع إلى معرفة ما هو أوسع وأكبر، عندها تتمركز شخصية الفرد على الذاتية، ولا تفكّر في غيرها.

ولكن عندما تنفتح الذّات على الآخرين تصبح ذاتا معترفة بالآخر، ومتطلّعة إليه، تبادله علما، وثقافة، ومعرفة، وتجربة، حتى تصبح الشخصية الذاتية على صفة جديدة تتجاوز التوقّف عند حدود الذات، إلى المستوى التطلعي؛ فتصبح صفتها الجديدة (تطلّعية).

ولذلك؛ فعندما يعترف الأنا بالآخرين، يصبح لسان حالهم مشتركا في الضمير (نحن) كما هو حال نحن العرب، وحال نحن المسلمين، أو نحن الأوربيين، أو نحن بني آدم، وهكذا لسان حال كلّ جماعة أو شعب بينهم روابط مشتركة.

وعليه؛ فالمنطق الذي جعل لسان حال الشّعوب والأمم لسان حال خصوصياتهم، هو الذي جعل منهم أطرافا متواجهة في الضميرين (نحن أم أنتم) وبخاصّة إذا ما تمسّك كلّ طرف بخصوصيّته على حساب خصوصية الطّرف الآخر.

فالاعتراف بالآخر (المختلف أو المخالف) يحرّر الإنسان من أطماع نفسه ومظالمه، كما يحرّره من أطماع الآخرين ومظالمهم، سواء أكان الآخرون من بني الوطن أم من خارجه، ولذا؛ فبالاعتراف لن يسود منطق التهميش الذي منه:

- أنا فقط.

- أنا أملك ما أشاء، وأنت لن تمتلك شيئا.

- أنا الزّعيم، ولا زعيم معي.

- أنا الرّئيس، وغيري مرؤوسون.

ـ أنتَ مغيّب ومُقصى، وأنا السيّد وحدي.

ـ أنا أقرّر، وأنت تسري القرارات عليك.

ـ أنا أُحاسب ولا نحاسب.

ـ أنا من حقّي أن أغضب، وأنت من واجبك امتصاص غضبي.

ـ أنا عندما أمتدّ كما أشاء، ليس لك بدّ إلّا أن تنكمش.

ـ أنا عندما أقصيك، عليك بالصّمت.

ـ أنا عندما أعزلك سياسيًّا؛ فلا نقاش.

إنّ مثل هذه السياسات هي التي أنتجت بين النّاس الظّلم، والقهر، والخوف، كما أنّها أشعلت نيران الغضب في الأنفس، وجعلت من البعض تحت الاضطرار يقولون ما لا يفعلون، وجعلت من الخائفين يعملون سرّا وعلانية من أجل استبدال الواقع المؤلم بواقع آخر شافٍ من الآلام حتى وإن كانوا الضحيّة، وهذه السياسات هي التي جعلت من الأجنبي مترقّبا ومتحيّن الفرص المناسبة لغزو الأوطان واحتلالها، وسلب خيراتها.

وهكذا، سيظل الألم سائدا بين النّاس شعوبا وأمما، إلى أن يصبح الاعتراف بينهم قيمة سائدة، تسمح بالامتداد إلى النّهاية، دون أن يكون امتدادا على حِساب الغير.

الاعتراف قيمة حميدة بين النّاس الذين كلّ منهم يُقدّر الآخر اعترافا بأنّه معطية إنسانية لا ينبغي غض النّظر عنه، بل يجب الأخذ بيديه ليكون مشاركا،

وفعّالا، وواعيا بما يجب، وما لا يجب، ممّا يستوجب تقدير الأنا للآخر في الزّمان والمكان المناسبين للأداء والفعل، سواء أكان إقداما أم تجنّبا وإحجاما.

ومن ثمّ؛ فالاعتراف بالآخر دليل انعدام الإقصاء والتغييب والهيمنة، ولكن إن سادت قيم عدم الاعتراف ساد في المقابل الإقصاء والتغييب والعزل السياسي، وإن سادت هذه القيم بين النّاس تحت أيّ مبرّرٍ ساد العناد والإفساد والتحدّي والمواجهة، وإن سادت هذه القيم السّلبية، سادت بينهم الفرقة والتشتت، والانقسامات، وتجزئة الوطن بأسباب الخلاف دون مراعاة المتخالفين لما يجب، والأخذ به3.

مبدأ

تبادل الاحترام

الاحترام respect سيادة للشعور المرغوب والمفضَّل بين الأنا والآخر، ومن يناله يشار إليه بالمحترم، ومن لم يبلغ نيله يظل في حاجة إليه، إنّه الصفة الأخلاقية المفضلة والمرغوبة عند النّاس. ويقول فرنسيس فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ: نطمع في أن يحترمنا الآخرون بالطريقة التي نعتقد أنّنا نستحقّها. ولذا عدم تجاهل الآخر فيما يجب أن يمارسه أو يؤدّيه أو يقوم به، يجعل بين الأنا والآخر لغة ومنطقا مقدّرين4.

---

[3] عقيل حسين عقيل، منابع الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 299.

[4] عقيل حسين عقيل، الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ص 7.

ولأنَّ الاحترام قيمة حميدة فتبادله مبدأ أخلاقي وإنساني وتشريعي، {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أو رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}5، أي: أنّه مبدأ مقرّ من الأديان والإنسانية.

وعليه: الاحترام منبع قيمي يمكّن النّاس من التواصل والاستمرار به وكأنّهم أخوة، وهو منبع أمل يرجوه الجميع، ويأملون نيله من بعضهم البعض، وذلك بما يُثبّت علاقاتهم على الفضيلة وحسن المعاملة، وإظهار التواد بينهم وكأنّه الغاية المأمولة.

ومع أنّ النّاس مختلفون فيما بينهم، فإنَّ لهم من الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة ما يجمعهم ويوحّدهم احتراما، ولأنّ الاختلاف قيمة إنسانية فَلِمَ لا يتمّ احترام المختلف بين المختلفين من النّاس؟

ولسائل أن يسأل:

وما هو المختلف بين النّاس؟

أقول:

كثير، متعدّد ومتنوّع، فأنا غير أنت، وهم غير أولئك، فأنا الذي أمتلك حرّية، غير (أنت) الذي قبلت بالعبودية، وهم المنحرفون عن القيم الحميدة والفضائل الخيّرة، غير (نحن) أصحاب الفضائل والقيم الحميدة، وأولئك الظلمة، غير هؤلاء المقسطين والمنصفين بين النّاس عدلا.

ولأنّ أمر الحياة بين النّاس مؤسّس على الاختلاف والتنوّع كان من الواجب على النّاس احترام المختلف والمتنوّع؛ وذلك لأجل أن تصبح الحياة بينهم

---

[5] النساء 86.

مؤسّسة على المحبّة والمودّة، كما ينبغي أن تكون مؤسّسة على المشاركة والتعاون والتعارف.

الاحترام قيمة حميدة يسعى النّاس إلى تبادله بما يقدمون عليه من أفعال وسلوكيات وأعمال تستوجب احترام القائمين بها، والكلّ يرغبه، ممّا يجعل التنافس بين النّاس بهدف تبادل الاحترام الذي لا يكون إلّا بإثبات الذات على حُسن القول والفعل والعمل والسُّلوك، ومن ثمّ؛ فالاختلاف تنوّع في ذاته يستوجب تبادل الاحترام الذي به تقدّر الخصوصيات.

أمّا الخلاف فأمره في كثير من الأحيان يؤدّي إلى الآلام، والتأزّمات، ولكن بعضه يؤدّي إلى الرّضا، ولأنّه كذلك فَلِمَ لا يتمّ احترام المخالف، سوء أكان مخالفا لك في القول، أم العمل، أم الفعل، أم السُّلوك؟ أي: ولِمَ لا يكون الخلاف مع من يريد أن يُقرّ ظلما، أو يرتكب جريمة، أو يقتل نفسا بغير نفسٍ، أو يريد أن يزوّر حقيقة، أو يحتكر ثروة، أو يحتلّ وطنا، أو يستعبد آخرين؟

ولهذا؛ تبادل الاحترام مبدأ به يتمّ مراعاة مشاعر ومكانة المختلفين والمخالفين، وتفهّم ظروفهم المتعدّدة، والمتنوّعة سياسيا، واقتصاديّا، واجتماعيا، ونفسيا، وثقافيا وذوقيا كما يتم تفهّم قدراتهم، واستعداداتهم، وإمكاناتهم التي تؤهلهم للأخذ بما هو محترم ومقدّر.

ولسائل أن يسأل:

هل الاحترام يُعطى، أم يُنتزع؟

أقول:

الاحترام يُفرض فرضا من قِبل صاحبه الذي يودُّ أن يكون عليه مقدّرا لدى الآخرين؛ فالاحترام لا يُعطى، ولا يوهب من أحدٍ، بل الاحترام قيمة بين النّاس المختلفين يتمُّ تبادله بما يقال، ومتى يقال؟، ولمن يقال؟، وكيف يقال؟، ثم بالفعل الذي يُفعل عن بيّنة وقناعة دون مظالم ولا مفاسد.

ومع أنَّ تبادل الاحترام في أساسه قيمة أخلاقية، فإنَّ بعض النّاس لم يسلكوا سلوكا يليق بمكارم الأخلاق، ولهذا، يصبح الاختلاف والخلاف معهم ضرورة أخلاقية.

ولأنَّ تبادل الاحترام غاية يأملها الإنسان، سواء أكان أبا، أم أمًا، أم مسؤولا، أم في أيّ مكانة، وفي أيّ مكان؟؛ فهو لا يتحقّق احتراما إلّا بمعطيات تُعدّ العدّة المادّية والأدبية والأخلاقية من أجلها، وصولا إلى الغاية بأسبابها؛ ممّا يجعل تبادل الاحترام المتبادل مبدأ مفضّلا، ومن ورائه غاية من بلغها بلغ مأمنه الذي يرتضيه لنفسه، كما تقرّه الشرائع الخيِّرة، ولكن من الذي يستحقّ الاحترام؟

أقول:

المقدّر لنفسه، والمقدِّر للآخرين، وهو الذي لا يقدِم على فعلٍ فيه مهانة للنّاس، ولا لفضائلهم الخيّرة وقيمهم الحميدة، وهو الذي لا يصمت على حقّ يجب أن يقال، ولا يكتم شهادة يجب أن يُدلى بها أمام من يحكم بين النّاس بالحقّ ولا يظلم أحدا؛ فالخلاف بين النّاس يؤدّي إلى افتراق الطّرق، أمّا الاختلاف بينهم فيؤدّي إلى التقائها. ولكن، هل دائما يتحقّق الاحترام بين المختلفين، ولكلّ أحدٍ من النّاس؟

أقول:

ليس دائما، بل في كثيرٍ من الأحيان الضّعفاء والفقراء يُحرمون من مبادلة الاحترام من الذين يمتلكون القوّة؛ فعلى سبيل المثال، الدّول العظمى التي تمتلك أسلحة الدّمار الشّامل، والمحرَّم دوليا، هذه الدّول مع أنّها مُخيفة للضّعفاء، فإنّها لا تُخيف بعضها بعضا، حتى وإن ساد اختلاف بينها، ومع ذلك يؤخذ الحذر كلّما ظهر خلاف، ومع أنّه خلاف فإنّه لن يكون إلّا خلافا باردا، ولهذا دائما يدقّ جرس الخط السّاخن (الخط الأحمر) بين رؤساء الدّول الكبرى عند كلّ اتفاق، حيث القبول المتبادل، والاحترام المتبادل، مع تبادل الاختلاف والخلاف؛ ولهذا فالضحايا دائما هم الضّعفاء، أمّا الأقوياء فتبادل الاحترام هو السائد بينهم.

وعليه؛ فلن ينال الضّعفاء احتراما من الأقوياء الذين يمتلكون القوّة الرّادعة والقامعة إلّا إذا امتلكوا القوّة المماثلة لقوتهم، والرّاهبة لهم.

ومع أنّ تبادل الاحترام طبيعة لا يكون إلّا عن إرادة حرّة، وأخلاق كريمة، وذوق رفيع، فإنّ الاحترام في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قد ينزع انتزاعا، ولهذا من يمتلك القوّة الرّادعة يستطيع أن ينتزع الاحترام ممّن لم يسبق له وأن احترمه.

وعندما يبلغ الضّعفاء مراتب القوّة، ويمتلكونها، علما، ومعرفة، ومهارة، لا شكّ أنّهم سيصبحون في صفوف الأقوياء من المقدّرين والمحترمين؛ فمثل هذه القوّة المرهبة تعيد من يمتلكون القوّة إلى إعادة حساباتهم وقراءاتهم تجاه من لم يسبق لهم وأن جعلوا له وزنا.

ولذا؛ فإنْ أردنا استقرارا وأمنا سائدين بين النّاس، أفرادا، وجماعات، وشعوبا، ودولا؛ فعلينا أن نحترم بعضنا بعضا دون اللجوء إلى القوّة المرهبة والمرعبة

للأنفس البشرية، حتى يتمكّن الجميع من فتح آفاق التواصل، والاستيعاب، والمحبّة، قوّة أخلاقية، دون اعتداء ولا مظالم.

وعليه، قد يتساءل البعض:

متى تكون العُدّة بين المختلفين والمتخالفين مخيفة؟ ومتى تكون مُرهبة؟

أقول:

العدّة مخيفة من حيث كون قرار استخدامها بشريا، ولهذا؛ فالخوف لن يكون من العُدّة، بل الخوف من البشر الذين يظلمون ويحقدون ويكرهون ويُفسدون ويسفكون الدّماء في الأرض بغير حقّ.

أمّا مِن حيث كونها مُرهبة فهي بما تُلحِقه من دمار وفتك بالبشر وما يمتلكون؛ فالقنابل مُرهبة، والصّواريخ مُرهبة، وكلّ ما من شأنه أن يترك دمارا هو مُرهب، ولذا؛ فإنَّ إعداد العُدّة لردع الظّالمين والمفسدين يرهبهم، كونهم أكثر من يعرف ما ستتركه العدّة (القوّة) من مخاطر ودمار، وبخاصّة أنّ العُدّة في حالة تطوّر سريع مع تطوّر العلوم والمعارف ولذلك؛ فمع تطوّرها يتضاعف دمارها؛ فالدّول الكبرى الممتلكة لأسلحة الدمار الشامل، هي أكثر خوفا ورهبة ممّن يحاول الالتحاق بها في هذا المضمار النّووي.

ولأنّها على هذه الحالة النّفسية فهي لا شكّ ستكون خير من يقدّر ويتفهّم ويحترم ظروف من أصبح يمتلك القوّة، أمّا الضّعفاء؛ فالاختلاف والخلاف معهم سيظل من قبل الأقوياء، ولن ينتهي إلّا بامتلاك القوّة المتماثلة وحينها يصبح تبادل الاحترام مبدأ بعلّة الحاجة والضرورة[6]

[6] المصدر السابق، ص 316.

مبدأ

ردّ الاعتبار

الاعتبار قيمة حميدة يتوَّج بها من يستحقّها من الأفراد والجماعات والمجتمعات، ولأنَّ الاعتبار قيمة حميدة مفضّلة، فردّ الاعتبار مبدأ تقرّه القيم والفضائل الخيّرة، وكلّ النّاس في حاجة إلى ردّه كلّما حاول من حاول الاعتداء عليه أو المساس به. ولهذا القاعدة المنطقية تقول: اعتبرني أعتبرك وإذا تجاهلت اعتباري فلا تنتظر اعتبارا منّي.

ولأنّ ردّ الاعتبار خصوصية فهو خصوصية كلّ الخصوصيات سواء أكانت على المستوى الفردي أم الشّعبي أم الوطني، أي: أنّ ردّ الاعتبار في ذاته اعتراف بقيمة الآخرين وتقديرهم تقديرا يرسّخ مكاناتهم ويحترم خصوصياتهم العرفية والدينية والثقافية والذوقية والاجتماعية والنفسية والثقافية.

يحتوي مبدأ (ردّ الاعتبار) القواعد القيمية الآتية:

. اعتبار القيم.

. اعتبار القدرات الخاصّة.

. اعتبار الاستعدادات الخاصّة.

. اعتبار الإمكانات الخاصّة.

. اعتبار العرق.

. اعتبار الدين.

. اعتبار العرف.

. اعتبار الثقافة.

. اعتبار الحضارة.

. اعتبار الظروف.

. اعتبار الغايات.

. اعتبار المكانة.

. اعتبار القدوة الحسنة.

. تحقيق الطمأنينة.

. تحقيق الرضاء النفسي.

. تحقيق الرضاء الاجتماعي.

وعليه: إنَّ التميُّز في القدرات والاستعدادات خصوصية تستوجب الاعتبار، وردّ الاعتبار يُمكِّن من الاستيعاب بين الأنا والآخر.

إذن القاعدة هي:

1 . اعتبار الخصوصية.

2 . استيعاب الآخر.

والاستثناء هو:

1 . إغفال عن الخصوصية.

2 . إقصاء الآخر.

إذن لا يُمكن أن يكون اعتبار الآخر قاعدة ما لم تكن هناك خصوصية، ولذا يكمن الاستيعاب في اعتبار خصوصية الآخر، أي: وضع الخصوصية في الحسبان، وعدم إسقاطها من أي حساب؛ ولهذا كان ردّ الاعتبار للآخر مبدأ لا يُهمل ولا يقلل من أهميته النفسية والاجتماعية والذوقية.

وعليه:

- قدِّر خصوصية الآخر تُقدّر.

- اعترف به يعترف بك.

- اعتبره يعتبرك.

- تفهّم ظروفه الخاصة يتفهّم ظروفك.

وعليه: يعد الأخذ بمبدأ ردّ الاعتبار غاية لإدخال الطمأنينة النفسية، ولذا فمن يشعر بعدم تقدير خصوصيته، يصاحبه القلق والخوف. وهكذا من يحس بأنّ الآخر يقلل من شأنه. أي: من يقدّر خصوصيتك تقدره وتعتبره صديقا أو أنّه على درجة من درجات الوفاء التي تستوجب منك تقديره. ومثل هذا الأمر يحسسك بطمأنينة معه.

وبما أنّ من لا يُعتبر لا يُقدّر، ومن لا يُقدّر لا يكون فعّالًا. إذن من لا يُعتبر لا يُعترف به. إذن ينبغي:

- أن يُقدّر الإنسان.

- أن يُعترف به.

- أن تُنمى قدراته.

- أن تُهيَّأ استعداداته.

- أن تستثمر إمكاناته.

- أن يُمارس حقوقه.

- أن يؤدّي واجباته.

- أن يحمْل مسؤولياته.

كل هذه الاعترافات لأجل أن تتحقّق له الطمأنينة ويتحقّق له الاعتبار قيمة حميدة لأجل أن يكون مواطنا مشاركا وفعّالا وقادرا على ردّ الاعتبار.

وعليه: فإنَّ ردّ الاعتبار منبع من منابع الأمل الرّئيسة؛ إنّه مبدأ أخلاقي لإظهار المكانة التي لا تُمنح إلّا لمن يستحقّها من الأفراد والجماعات والمجتمعات؛ فلا يجب الإغفال أو غضّ النّظر عمّن هو ذو مكانة اجتماعية، أو علمية، أو نفسية، أو أخلاقية؛ فالمكانة يُلتفت إليها وهي لا تُخفى، ولذلك؛ فالقاعدة تقول: (اعتبرني أعتبرك، وإذا تجاهلت وجودي فليس لي بدّ إلّا أنْ أتجاهلك).

ولأنَّ الاعتبار قيمة حميدة يجب أن يُفخّم حتى يتمّ الاتّعاظ به، ومن ثمّ به يتمّ توليد القدوة الحسنة من القدوة الأحسن منها؛ فردّ الاعتبار مبدأ قيمي يربط الإنسان بالحقائق، كما يربطه بما يجب الأخذ به، وبما يجب الانتهاء عنه، وما يجب تجنّبه يستوجب أن يقف الجميع دون المساس بحريات الجميع. ومع ذلك؛ فالنّاس بما يختلفون به من خصوصيات هم يأملون بأعمالهم وأفعالهم التي تؤخذ العبر منها من ردّ الاعتبار، وفي المقابل إن قوّضت هذه القيمة الخيّرة؛ فهم يتألمون.

ومع أنّ الجميع يأمل ردّ الاعتبار، فإنَّ ردّه لم يكن سهلا؛ فلا يردّه إلّا وفيٌّ محترمٌ، ومع أنّ الاعتبار قيمة حميدة، ولكن الظّالمين إن انفردوا بالقمم السّلطانة وأصبحوا رؤوسها، سنّوا قيما لتمجيد ظلمهم وطغيانهم، وتفرّدهم بالأمر سياسة واقتصادا؛ فهم إن انفردوا طغوا، وبطغيانهم يقوِّضون كلّ القيم التي تفسح مجالات ممارسة الحرّية أمام الاختلاف والتنوّع، وعلى رأس هذه القيم القابلة للتقويض قيمة الاعتبار، فمبدأ ردّ الاعتبار يعد منبعا من المنابع الأخلاقية الرّئيسة التي بها يتمّ الاسترشاد بمن لهم مواقف وسلوك قدوة؛ فتؤخذ العبرة من تلك المواقف والشّواهد التي يحملها التّاريخ في صفحاته.

ومع أنَّ خير المعتبرين هم صنّاع التاريخ، فإنّ الذين يتمكّنون من القمم السّلطانة في أوطانهم بغير حقّ، لا يقبلون ذلك، فهم لا يرون لصنّاع التاريخ اعتبارا ولا مكانة، ذلك لأنّهم لا يقبلون أن يكون أحد أكثر اعتبارا منهم، حتى وإن كان المعتبرون من الأموات، ولهذا يبذلون ما في وسعهم من أجل طمس ما يتركه الأبطال من تاريخ، في مقابل أن يقدّموا أنفسهم صنّاعهُ ولا أحد سواهم.

ولأنّهم كذلك؛ فلا يوجد في قواميسهم مفردة لغويّة بها يمكن أن يردّ الاعتبار لمن يستحقّه؛ ومع أنّ الاعتبار قيمة تُظهر المكانة، وتُعطيها لمن يستحقّها من الأفراد والجماعات والمجتمعات، ولكن هذا ما لم تقبله القمم السّلطانية الظالمة، أمّا الشّعوب بقيمها الحميدة فلا تغفل، ولا تغضّ النّظر عمّن هو ذو مكانة اجتماعية، أو علمية، أو فكرية وأخلاقية؛ فالمكانة يُلتفت إليها وهي لا تخفى.

وعليه؛ فردّ الاعتبار يؤصّل القيم والفضائل حقائق ثابتة في الأقوال، والحِكم، والأفعال، والأعمال، والسُّلوكيّات البشرية، وبها يتمّ تبادل الاحترام ونيل

الاعتراف وإحراز التقدير من الذين أسهموا في غرسها، أو أنَّهم في حالة تماثل قيمي مع من تُكوِّن كبرياءهم[7].

ولأنَّ الاعتبار قيمة فبه يتمّ الاتّعاظ وأخذ العبر من التَّاريخ، وما تُقدّمه الحِكم من مواعظ حسنة فأولو الألباب وأصحاب البصائر هم الذين يعتبرون، وهم الذين يجب أن يعتبروا، لأنّهم قادرون على بلوغ المعرفة الواعية التي بها يتمّ التميّز والتمييز الحقّ.

ولأنّهم أولو الألباب فهم الذين يتذكرون فيعتبرون مصداقا لقوله تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}[8] وقال تعالى: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}[9].

وعليه؛ فالاعتبار لا يكون إلّا بحُسن الخُلق، والقدوة الحسنة، في القول والفعل، والعمل، والسُّلوك، ولكن إن لم يعتبر البعض بعضا؛ فإنَّ فقدان الاعتبار يفسح مجالات الرّفض، والتمرّد، والثورة التي تمكّن الرّافضين للظلم من بلوغ الحلّ، الذي به يتمكّنون من ممارسة حقوقهم، وأداء واجباتهم، وحمل مسؤوليّاتهم؛ فيتخلّصون من ذلك المؤلم سياسيا، ونفسيّا، واجتماعيّا، واقتصاديّا، وذوقيّا[10].

فالاعتبار قيمة حميدة يؤدّي إلى سيادة الاحترام المتبادل، ويؤدّي إلى التقدير المتبادل، ويؤدّي إلى التقبّل المتبادل، ويؤدّي إلى الاستيعاب المتبادل، ومن

---

[7] المصدر السابق، ص 151.

[8] البقرة 261.

[9] الحشر 2.

[10] المصدر السابق، ص 154.

ثمّ يؤدّي إلى التفاهم والتفهّم ورسم السياسات، والعمل على إنجاز الأهداف وبلوغ الغايات المشتركة بين النّاس أفرادا وجماعات.

الصراع على قاعدة الاعتبار:

يوفّر التحدّي حافزا قويا لأيّ شعب من أجل التطلّع المعرفي والثقافي والحضاري الذي يفضي إلى الحرّيّة، وبهذه المعطيات تبدأ كتابة صفحات التاريخ الإنساني؛ وذلك بتوافر دوافع التحدّي، والمواقف ذات الأهداف الواضحة من خلال استنارة العقل الذي يطغى على ظلام الجهل، والعمل على استثارة كلّ ما يمكن أن يجعل الحياة أفضل ممّا هي عليه.

ولهذا؛ فإنَّ سكوت المجتمع عن طغيان السّلطان هو نوع من الحِلم الاجتماعي الذي يُعطي نفسه فرصة التفكير، والتريّث، في إيجاد البدائل الموصّلة إلى كرامة الحياة البشرية، التي يثبت من خلالها إنسانيته، وفي الوقت نفسه تمنح السّلطان فرصة التأمّل والمراجعة، ذلك أنّ الحِلم الاجتماعي أعقل بكثير من القوانين السّلطانية، لأنّ السّلطان إذا داهمه خطر قد ينجو بنفسه، وأمّا إذا داهم الخطر الشّعب المحكوم بالسّلطان فقليل هم النّاجون، ولهذا السّبب تكون قاعدة السلّم السّلطاني أعظم إدراكا لتاريخها، وحضارتها، ومستقبلها من قمّته التي يجب عليه أن يستمدَّ منها الاعتبار والتقدير.

إنّ وعي قاعدة الاعتبار ونفاذ بصيرتها في القضايا الاجتماعية والإنسانية، ونهمها في الاطلاع على التراث الفكري استنادا إلى العمق الحضاري، يثري معرفتها بالأحكام السّلطانية أكثر من القمّة بدرجات الأمر الذي يجعل قاعدة الاعتبار تبصر الحقيقة على أنّها صيرورة نهائية متكاملة تتبلور في وعيها، حتى إنّ الشّعب نفسه يندهش في أوقات كثيرة من أنّ هذا الوعي يتكوّن في

داخله، بما يشبه الارتشاح العقلي والفكري لحضارته تساميا نحو الفضيلة، وهذا الارتشاح المتسامي يتمّ بوعيه دون وعي، ولكن عن إرادة منه، بحيث تصبح الأفكار تتجمّع في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ومن ثمّ يضمّها الذّهن الجمعي بعضها إلى بعض في عملية تنظيم ومنهجية لكلِّ الشذرات من المعلومات التي لها علاقة بالقضايا المستقبلية من استمداد حضاري؛ فيتنامى الموقف في ذلك الذّهن ليصبح عملا حضاريا متكاملا، تتّضح معالمه رويدا رويدا، بكلِّ ما تحتويه من عناصر الاكتمال، وتناغم الأجزاء والمكونات مع الكلِّ في توازن لا يخلّ جزء منه بجزء آخر، ومتوازن مقتصد بلا خلل.

وعليه؛ فإنَّ الاعتراف بالاختلاف، مع الأخذ به من أجل الأفضل والأجود، هو دليل إثبات تبادل الاحترام وردّ الاعتبار بين المختلفين. أمّا الخلاف مع من لا يجب الاختلاف معهم فلا يزيد المخالف لما يجب إلّا تقليل شأنٍ. وهنا؛ يتضح الفارق بين الاعتبار الذي به يقدّر الأفراد والجماعات، وبين تقليل الشّأن الذي به يفقد الإنسان قيمته التي ينبغي أن يكون عليها معتبرا؛ فقيمة الاعتبار يجب أن تعظّم بين النّاس، حتى يحفّز النّاس بعضهم بعضا عليها؛ فيتنافسوا ويصبح ردّ الاعتبار مبدأ قيميا يسهم في طي الهوة بين الأنا والآخر مودّة وتعاونا وأمنا وعملا وسلاما[11].

[11] المصدر السابق، ص 163 . 168.

مبدأ

استشعار التفهُّم

التفهّم قيمة الإلمام بالموضوع والظروف المحيطة به والمعطيات التي أوجدته وأظهرته على السطح، وهو دراية عن كثب ومعرفة تامّة بالأسباب والعلل والمبررات والخفايا السّالبة والموجبة.

أمّا استشعار التفهّم مبدأ لطي الهوة بين الأنا والآخر، فإنّه تقدير للظروف التي أثرت على الحالة أو أثرت على السُّلوك أو الفعل والعمل، وهو دراية بما ينبغي أن يتمّ حيالها، وكيف ومتى وأين يتمّ؟

فاستشعار التفهّم مبدأ به يُقدِّر الأنا الآخر عندما لا يكون تمدده على حساب تمدد الغير. وباعتماد التفهُّم قيمة مفضّلة بين الأنا والآخر تقدّر ظروف كل خصوصية وتحترم؛ مما يؤدّي إلى تفعيل مبدأ التقبّل الذي يترتب عليه تأثير وتأثر موجب، وتخفيف للآلام وعلى ضوئه يتحقّق التوافق الاجتماعي.

ولأنَّ التفهّم قيمة فالاستشعار به مبدأ، ولهذا إن أردنا تفاعلا وتوافقا أو تكيّفا ونجاحا علائقيا فعلى الأنا أن يظهر تفهّمه لظروف الآخر من خلال استشعاره بما يظهره تجاهه من تفهّم، ومن خلال تقديره للحقائق (هي كما هي) لا كما يجب أن تكون عليه، فما يجب أن تكون عليه هو الذي يستوجب استشعار التفهّم تقديرا للظّرف أو الخصوصية.

ويحتوي مبدأ (استشعار التفهُّم) على:

. إدراك الحقائق.

. تفهّم الحقائق.

. تقبّل الحقائق (هي كما هي).

. تفهم الظروف الخاصّة.

. تقدير الظروف.

. إظهار حُسن النيّة مع وافر الرّغبة والامتنان.

. توسيع آفاق التفكير لدى الأفراد والجماعات بالمعلومات الصائبة، بما يقودهم إلى الإدراك الواعي الذي يمكّنهم من حُسن إدارة حياتهم، ومن ملاحظة أفعالهم وسلوكياتهم بوعي. حتى يصلوا إلى التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

– تفكيك المشكلة قيد الاختلاف، من أجل جعلها أكثر وضوحا أمام من يتعلق الأمر بهم ليتعرفوا على العلل التي تكمن وراءها، ويتهيأوا للتغيير.

– استيعاب البعض للبعض بتفهّم مشاعرهم واستعداداتهم، وتقدير أفكارهم، واحترام آرائهم بما يساعدهم على التخلّص من المؤلم.

– تشجيع الآخر على إظهار ما بداخله من آراء ومهارات وخبرات حتى يتمّ استثمارها الاستثمار الأمثل بما يفيد الجميع.

. تفهّم الحقائق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والذوقية والثقافية قبل اتخاذ أي إجراء تجاه المجتمع أو تجاه الظاهرة أو الموقف الإشكالي.

ممارسة أسلوب الحوار الديمقراطي فيما يتعلق بممارسة الحقوق وتأدية الواجبات وحمْل المسؤوليات.

. استيعاب ظروف الآخر وتقديرها حتى الوقوف على الأسباب والعلل الكامنة ورائها وتصحيحها بمعالجات منطقية وموضوعية.

. السعي إلى معرفة كل ما يترك أثرا موجبا، أو أثرا سالبا على نفسية الآخر أو على قيمه التي تشكل هويته، والعمل على تصحيح الأفعال والسُّلوكيات ذات الأثر السّالب بإجراءات إيجابية.

وعليه: فإنَّ استشعار الآخر بتفهّم ظروفه وخصوصيته وآلامه ييسّر له عملية التقبّل ويفتح أمامه أبواب المشاركة؛ فتفهّم الظروف يعني: التمكّن من التبيّن دون لبس أو غموض، أي: تفهّم الحالة وما هي عليه من علل. وهذا الأمر يفتح آفاق الحوار والمحاجّة بين الأنا والآخر من حيث الاختيار بين ما يجب وما لا يجب، حتى تنمّى لديهم قاعدة الوعي والإلمام بالحقيقة. ومن ثمّ يتمكّنون من التأمّل والتفكّر في كل ما يُفيد ظروفهم حتى يستشعروا حالاتهم كما هي عليه، ويسعوا إلى التغيير من خلال ممارسة حقوقهم وأداء واجباتهم وحمْل مسؤولياتهم الفردية والاجتماعية والوطنية، ومن ثمّ الإنسانية. وحينها يعرفون أنّ كلّ ما هو خارج دائرة المستحيل ممكن حتى وإن كان صعبا أو غير متوقّع.

إذن القاعدة المنطقية تنصّ على:

. اعتماد التفهّم.

. الاعتراف بالقيم.

. اعتبار الخصوصية.

والاستثناء هو:

. انعدام التفهُّم.

. إنكار القيم.

. عدم اعتبار الخصوصية.

وعليه فإنَّ (الإدراك – التفهّم – الاستبصار) قيم تبادلية من حيث إنَّ:

. قيمة التفهّم: تقدير للظروف التي يمر بها الأنا والآخر، والمستوى القيمي الذي عليه حالاتهم، ومستوى قدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم، مما يُمكِّن من البدء معهم تعاملا من حيث هم؛ لأجل دفعهم تجاه ما ينبغي أن يكونوا عليه معًا.

. قيمة الاستبصار: تتداخل مع قيمة التفهّم في بوتقة التبيُّن عن وعي، والوقوف بما لا يدع مجالا للشك على العلل الكامنة وراء كلّ حالة من الحالات التي يعاني منها كلٌّ من الأنا والآخر.

. قيمة الإدراك: تتداخل هي الأخرى مع قيمتي التفهّم والاستبصار في بوتقة الإلمام عن معرفة تامّة، وبدون أيّ لبس أو غموض، إذ لا استبصار بدون إدراك، ولا إدراك بدون تفهُّم.

ولذا، هذه القيم الثلاث تمييزية، بها تتم عملية الاستقراء والاستنباط، لما يجب وما لا يجب دون تحيّز، ودون أحكام مسبقة.

وعليه:

. أدرك أنّك قدرة.

. أقدم على صناعة مستقبلك ولا تتردّد، فالتردّد لا يمكّنك من دخول ميادين المنافسة وإحداث النُقلة لما هو أفضل وأجود.

. تفهّم ظروفك واعلم أنّ ما ألم بك لا يزيدك إلّا قوّة.

. صحّح معلوماتك الخاطئة بالمعلومات الصائبة التي تحصّلت عليها.

. نمِّ قدراتك تجاه المأمول.

. هيّئ استعداداتك لأداء ما ينبغي.

. تقدّم، فالطريق أصبح ممهدًا.

وعليه:

. استبصر ذاتك قبل أن تستبصر ذوات الآخرين.

. تفهّم ظروف الآخرين مثلما تتفهّم ظروفك.

. أدرك الآخرين مثلما تود أن تدرك.

. اعرف قدراتك واستعداداتك قبل أن تعرف قدرات واستعدادات الآخرين.

. اخرُج من غفلتك إذا أردت أن تتطلّع إلى الآخرين وإلى ما هو أفضل.

. أقدم على صناعة مستقبل أفضل إذا أردت الإسهام في إحداث النقلة.

. صحح معلوماتك الخاطئة قبل أن تُقدِم على تصحيح أخطاء الآخرين.

ولهذا فإنَّ تفهّم الظّروف هو: تقدير حال فرد أو جماعة أو مجتمع بأسره، ممّا يستوجب مراعاة ما ألمّ بهم، أو ما هم فيه من ظروف، أو ما يجري من حولهم ويسبِّب لهم آلاما ومواجع، أو ما جعلهم أو جعل بعضهم في مواقف محرجة؛ فيتم تقبّلهم مع التماس المعذرة، ومن هنا يستشعرون أنَّ تفهم الظروف يعد منبع أمل لمستقبل أفضل.

فالتفهّم معرفة واعية بما يجب ومتى يجب، ومعرفة واعية بما لا يجب، ومتى لا يجب، أمّا الظّروف فهي ما عليه الغير من هموم أو آلام ومواجع، أو ما عليه من شح أو حتى غِنىً وغيره ممّا يستوجب التوقّف عنده دون أن يكون عائقا في سبيل إنجاز الأهداف المأمولة.

ولأنّ النّاس مختلفون؛ فالاختلاف والخلاف من طبائعهم، ومع أنّهما من طبائع البشر فإنّهما لم يكونا غاية في ذاتهما، بل الغاية من ورائهما بلوغ التفهُّم، الذي من بعد بلوغه يتمّ التمكّن من انتهاء ما كان عليه الاختلاف والخلاف.

ولذلك؛ فالعلاقة قويّة وإيجابية بين الاختلاف والخلاف من جهة، وبين استشعار التفهّم من جهة أخرى، أي: لو لم يكن الاختلاف والخلاف ما كان استشعار التفهّم مبدأ قيميا مقدّرا. وكلّما ساد التفهّم بين النّاس، أفرادا وجماعات وشعوبا وأمما، كان وراء ذلك التفهّم اختلاف وخلاف.

وعليه، من يتفهّم ظروف النّاس يستطيع تقديرهم، ويستطيع أن يحسن معاملتهم، كما أنّه يستطيع العمل على تغيير أحوالهم من تأزّمات وآلام إلى ما يجب أن يكونوا عليه والأمل لا يفارقهم.

وهكذا، توجد علاقة موجبة بين اللين والمرونة وبين التفهّم؛ فلا يمكن أن يكون التفهّم في معزلٍ عنهما، فهما قوّتان جاذبتان للآخر، ميلا، وتقبّلا واعترافا وطمأنينة. فالتفهّم من أجل الإصلاح وبلوغ الحلّ يستوعب شطحات الأفراد والجماعات، كما يستوعب تطلّعاتهم وطموحاتهم وكذلك أوجاعهم.

التفهُّم إلمام بالموضوع، لا يتمّ إلّا بعد إلمام بحيثيات الأمر، والظّروف المحيطة به، والمعطيات التي أظهرته على السّطح، أو أنتجته بين الأيدي، وهو

دراية عن كثب، ومعرفة تامّة بالأسباب، والعلل، وكذلك المبررات، والخفايا المؤلمة والمفرحة، السّالبة والموجبة؛ فالتفهُّم يتطلّب توفير الوسائل الممكِّنة من النّجاح مع وضوح الأغراض المستهدفة، وما وراءها من غايات.

ولهذا فاستشعار التفهُّم مبدأ قيمي ينبغي لنا ألّا نغفل عن اهميته، به يُقدَّر الآخر، ويقَّدر الأمر، أو الموقف، والقضيّة، ولكي يتمّ استيعاب مفهوم كلمة (مُفهَّم) علينا بمقارنة ما تدل عليه، مع مفهوم كلمة (متفهِّم)؛ فالأولى، مُفَهَّم التي تنطبق على النبي سليمان عليه الصّلاة والسّلام تدلُّ على أنَّه مُفهَّم من عند الله عزَّ وجلَّ مصداقا لقوله تعالى: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ}12، ولأنّ سليمان كان مُفهَّما لِما يجب في مرضاة الله؛ فقد وهب الله له حُكما ومُلكا، وفهَّمه كيف يملك ويحكم، {وَدَأوودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا}13.

أمّا التفهُّم فهو المعرفة الواعية بأهمية تقدير الظّروف التي قد تؤثّر على سلوك الأفراد والجماعات، ولهذا التفهُّم في دائرة الممكن دراية بما ينبغي أن يتمَّ حيال كلّ أمرٍ من الأمور المتعلّقة بالنّاس وشؤون حياتهم، أمّا الاستشعار به فهو: تقدير الأنا تجاه ما يستشعره من تفهّم الآخر له، وبخاصّة عندما يكون ظاهرا في أقوال وأعمال وسلوكيات ذات أساليب لينة ومرضية.

ولأنّ التفهُّم قيمة أخلاقية لربط العلاقات بين المختلفين والمتخالفين فهو القيمة المقدَّرة والمعتبرة بينهما، ولهذا فالرُّسُل الكرام أرسلوا لأقوامٍ وشعوبٍ وأممٍ كافرة ومشركة، ليهدوها السّبيل الحقّة؛ فلو لم يكونوا متفهِّمين لتلك الظّروف

---

[12] الأنبياء 79.

[13] الأنبياء 78، 79.

والمعطيات التي جعلت من النَّاس كفّارا ومشركين، ما استطاعوا نشر دعواتهم، والتبشير بها، والتحريض على الأخذ بتشريعاتها، {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}14، وقال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}15.

ولهذا فمن يعمل سوءا بجهالة ثمّ يتوب، يتوب الله عليه، وبما أنّ الله يتوب على التوَّابين فلماذا البعض يحكم على النَّاس أحكام مطلقة؟ فمن أراد خيرا في حياته؛ عليه بدعوة من يكفر ويشرك إلى الحقّ، أمّا المسلمون فهدايتهم للأخذ بما يجب أمره أكثر تيسيرا إذا ما قورن بدعوة الكافرين والمشركين، ولذا؛ فتفهّم أحوال وظروف البعض التي جعلتهم باقين على الكفر وكأنَّه وراثة يفترض أنّه يؤدّي إلى التفاهم ولا يؤدّي إلى الخلاف، ومن ثمّ الميل إلى الإيمان، أي: لو كان هناك متفهّمون للعلل التي مازالت تبقيهم على الكفر أو الشرك، لكان من السهولة أن يؤمنوا، وهكذا دائما من يستشعر تفهّما أنّ المعلومة الصائبة تصحح المعلومة الخاطئة فلابدّ له أن يجادل ويحاجج بها حقائق ولا إكراه16.

---

[14] الأنعام 48.

[15] يونس 99.

[16] عقيل حسين عقيل، السياسة بين خلاف واختلاف، ص 212 . 214.

مبدأ

غرس الثّقة

الثّقة trust قيمة معيارية تستوجب معطيات موضوعية ومنطقية، فمن يكون مَحَلاً لها ينالها، ومن لا يكون سيكون محلا للظنون التي في مقابلها تسود الخيانة والتآمر. وعليه كلّما سادت الثّقة بين النّاس سادت الطمأنينة، وكلّما انعدمت سادت المخاوف. ولا سبيل لغرس الثّقة إلّا الإرادة.

وعليه عندما يشكّ الرئيس في شعبه فأين يا ترى سيجد مكانا لغرس الثّقة؟ وعندما يشكّ الشّعب في رئيسه فهل يمكن أن ينام الرّئيس هانئا؟ وإذا ما ساد هذا الشعور والإحساس بين الشّعب والحكومة فهل يمكن أن يجد الإخلاص محلّا له في البلد أو الإقليم أو القطر؟

ولهذا ينبغي أن تغرس الثّقة بين الأنا والآخر؛ قولا وسلوكا وفعلا وعملا من خلال غرس القيم والفضائل الإنسانية في نفوس كلّ من يتعلّق الأمر بهم حتى يتحرروا من المشاعر والأفكار السلبية التي تعوق تفاعلهم مع الغير.

ومع أنَّ (الثّقة) ليست مادة يُمكن التحكم في عناصرها في المعامل والمختبرات. فإنّها مادّة قيمية لا تُبنى شخصية الأفراد والجماعات والمجتمعات إلّا بها. ولهذا فإنّ البناء مثلما هو مادّي فإنّه معنوي.

ولكن بينهما فرق يكمن في الآتي:

البناء المادّي سريع وميسر، وعمره الزمني قد لا يطول.

أمّا البناء المعنوي: فبطيء وصعب، وإذا ما تحقّق فعمره الزمني قد يطول.

ومع ذلك فإنّ لكل شيء نهاية بالرّغم من التفاوت في زمن البقاء والصّمود والثبات.

الثّقة: قيمة تُغرس في الإنسان بعد أن يوضع في محكّات عملية ويجتازها بنجاح. وهي القيمة التي تحتوي في مضمونها أبعاد قيم أخرى، من صدق وأمانة والتزام أخلاقي وسلوكي، إلى جانب الوفاء بالعهود.

وعندما تتجسّد الثّقة في نفوس الأفراد والجماعات حتى تنعكس في السُّلوك والفعل تصبح ذات دلائل وثوابت مقدّرة من قبل الآخرين، ولذا عندما يثق الأفراد في ذواتهم ويثقون في الغير يتمكّنون من التفاعل المفضّل.

وبالرّغم من أنّ مبدأ غرس الثّقة يتطلّب برمجة قيمية، فإنّ الثّقة إذا استوطنت ذهن الفرد ونفسه، تصير في ذاتها برمجة عقلية نفسية، تعمل على برمجة الفرد وتحفيزه على النجاح والإبدّاع.

فالثّقة تبرمج العقل إيجابا بأنّه قوّة، وأنّه قادر على التطلّع والإبدّاع. وفي مقابل ذلك انعدامها يبرمج العقل سلبا بأنّه ضعيف، وأنّه غير قادر على التطلع والإبدّاع.

ولكن ما القيم التي ينبغي أن تغرس؟

هناك مجالات قيمية ستة، تحتوي على مجموعة من القيم البنائية تضمنتها البرمجية القيمية لطرق الخدمة الاجتماعية هي:

1 – مجال العلائق القيمية الاجتماعية ويحتوي على القيم البنائية: (الأمّة، الوطن، المجتمع، الأسرة، الزوجية، الأخلاق، الكرم، البخل، الصداقة، الجنس، السُّلوك).

2 – مجال العلائق القيمية الإنتاجية ويحتوي على القيم البنائية: (الاقتصادية، الإبداعية، العملية، التقنية، الإنجاز).

3 – مجال العلائق القيمية السياسية، ويحتوي على القيم البنائية: (السياسة، السّلطة، الواقع، الاستقلالية، الحرية).

4 – مجال العلائق القيمية النفسية، ويحتوي على القيم البنائية: (الشخصية، إثبات الذات، الضميرية، الواجب، الحقيقة، الواقع، الجنسية).

5 – مجال العلائق القيمية الذوقية ويحتوي على القيم البنائية: (الوجودية، الدينية، السعادة، الجمال، الفن، الأدب، الطبيعة).

6 – مجال العلائق القيمية الثقافية ويحتوي على القيم البنائية: (الثقافة، العلم، التحصيل، الصحة، الطعام، الزمن، الرياضة).

وإذا تمّت مراعاة هذه القيم في كل المجالات السابقة، وتمّ الأخذ بها في التعامل بين الأنا والآخر، فإنّه سيتم الإسهام الإيجابي في بناء الثّقة المتبادلة بينهم.

ولأنّ الثّقة تُبنى بالقيم المحفِّزة والدافعة لقبول التحدي ومغالبة الوهن فإنّ القاعدة المنطقية هي:

(البناء القيمي).

أمّا الاستثناء فهو:

(الهدم القيمي).

ومع أنَّ البناء مثل ما هو مادّي أيضًا معنوي، فإنّ الفرق بينهما من حيث:

1 ـ البناء المادّي: سريع وميسَّر.

2 ـ البناء المعنوي: بطيء وصعب.

3 ـ ما يُبنى سريعا يمكن أن يُهدَّ بأكثر سرعة.

4 ـ ما يُبنى بتأنٍّ فثباته وبقاؤه أطول.

ولأجل إيجاد محل لغرس الثّقة بين الأنا والآخر يجب مراعاة الآتي:

ـ أن يُشعر كلًّا منهما الآخر بأنّه محل ثقة.

ـ أن يكون التعامل بينهما وضوحا وشفافية.

ـ أن يُظهر كلّ منهما المصادق في كلّ ما يقول.

ـ أن يميّز كلّ منهما بين العيوب التي تلتصق بالمعلومة الخاطئة، والمعلومة التي تلتصق بالسُّلوك أو التصرّف الخاطئ.

ـ أن يناصر كلّ من الأنا والآخر بعضهما بعضا على مغالبة المعلومات الخاطئة وتصحيحها وتصويب السُّلوك عند كلّ انحراف.

ـ تحسيس كلّ منهما الآخر بالآتي:

أ ـ أنّ الأمل ينتظره.

ب ـ أنّه قيمة لا يمكن الاستهانة بها.

ج ـ أنّه قدرة تحتاج لإعطاء فرصة.

د ـ أنّه قوّة تحتاج إلى توجيه وتعاضد، وعليه أن يتهيأ ويستعد ويتأهّب للعمل المنتج.

وعليه: يصبح الإنسان قيمة في ذاته بغرس القيمة فيه، مفهوما وحجّة مع وافر التقدير لإمكاناته ومواهبه وقدراته واستعداداته.

ولهذا فغرس الثّقة في نفوس الأفراد والجماعات يُنمي قدراتهم ويُهيئ استعداداتهم ويحفزهم على استثمار إمكاناتهم ويدفعهم للمشاركة في عمليات البناء والإعمار ويُحسّسهم بأهميتهم، ويزيل عنهم المخاوف، ويحل محلها الإصرار والتصميم الإرادي على إدارة شؤون حياتهم.

وعليه:

نمِّ قدراتك.

افطن من غفلتك.

أدرك ذاتك.

اسبر أغوار نفسك.

اعرف أسباب ضعفك.

استمد معطيات قوّتك.

خذ بزمام أمرك.

اعترف بأخطائك وأقدم على تغييرها.

قرّر بعد معرفة كافية.

نفّذ بلا تردد.

أصلح من حالك.

ثق في نفسك يثق الآخرون فيك.

لا تضع الإصلاح غاية أمامك، بل فكر في الحلّ حتى تراه مأمولا، وأقدم على العمل.

وعليه:

سر بخطىً ثابتة صوب الأهداف.

تكلّم بصوت واضح مفهوم ومتّزن.

ثق أنّ قدراتك تمكّنك من أداء عمل أفضل.

حاول حلّ مشاكلك بنفسك، وتهيأ لمساعدة الآخرين.

شارك الآخرين نشاطاتهم.

ارسم خططا تستوعب الآخرين الذين بينك وبينهم علاقات اجتماعية أو وطنية وإنسانية.

لا تقل (نعم) عندما تريد أن تقول (لا).

ولأنّه كلّما توافرت الحوافز المتنوعة والمتعددة زادت عمليات التفاعل والمشاركة الايجابية بين أفراد المجتمع وجماعاته، فإنّ تقوية الدوافع تتطلّب حوافز متنوّعة ومتعدّدة، وتتطلّب أساليب استيعابية ممتلئة بالذوق الرّفيع والمرونة المتوازنة.

وعليه: الثّقة لا تكون إلّا نتاج معرفة واعية، ولا تكون إلّا بعد استئناس ودراية بالخفايا التي تُمكّن من كشف الحقائق ومعرفة الطّباع إذ لا شيء مخفيٌّ وكلّ شيء على البلاطة.

فالثّقة لكونها قيمة حميدة، لا تُغرس في أحدٍ إلّا بعد معرفة واعية، ودراية تامّة بما يجب تجاه من تمّت معرفته، ولا شكوك فيه، وفي المقابل الثّقة لا تُغرس بناء على رغبة، أو مطلب من أحدٍ، ولكنّها تُغرس فيمن يكون دافئ الجانب ومخلصا في صّدقه، وعمله، ومهنته وخُلقه وعلمه، وفي أفعاله وسلوكياته ومن ثم يؤمن جانبه ويطمئن إليه.

ولأنّ الثّقة لا تسود بين النّاس إلا تبادلا، وعن إرادة حرّة؛ فهي المأمولة من قِبل الشركاء، سواء أكانوا شركاء سياسة، أم شركاء اقتصاد، أم شركاء علاقات اجتماعية وإنسانية.

ولهذا فغرس الثّقة في النّاس يُمكِّن من نيل الاحترام والتقدير والاعتبار، وفي المقابل سحب الثّقة من النّاس لا يمكّن إلّا ممّا يخالف ذلك ويختلف معه، فمن أراد أن ينال احترام الآخرين؛ عليه باحترامهم، ومن أراد لنفسه أو برنامجه أو رؤيته نيل التقدير؛ عليه بتقديرهم، وفي المقابل من يتبنّى مشروعا لإقصاء النّاس بغير حقٍّ فلا شكّ أنّه قد تبنّى مشروعا يؤدّي إلى سحب الثّقة منه، وكذلك؛ من يجبر النّاس على سحب ثقتهم ممن غرست فيهم عن رغبة، بأسباب لا موضوعية، ولا أخلاقية، فهو بهذا السُّلوك لن يترك مجالا، أو حتى هامشا، لغرس الثّقة فيه.

ولذا؛ فمن يقصي النّاس لا يقبل بثقة تُغرس في سواه، وعندما يصبح الأمر بين البعض والبعض مؤسّسا على: (أنا مصدر الثّقة وأنت لا ثقة فيك) فبالضّرورة سيؤدّي الأمر إلى خلاف يدفع البعض إلى إعداد العدّة الممكّنة من المغالبة، أو على الأقل إعادة التوازن.

فالثّقة قيمة حميدة لا تُغرس إلّا في ثابت مقدّر، ولا تُمنح إلّا لصاحب مقدرة على تحقيق المتوقّع؛ فالثّقة عزم وإصرار مع وافر التأكيد على القول الحقّ،

والفعل الحقّ، والعمل الحقّ. إنّها القيمة المرضية للأنا والآخر عندما لا يكون لليأس محلّ بينهما، ولا محلّ للخيانة والتراجع عمّا يجب التمسّك به، مع عدم التنازل عن الموثوق فيه. ولكن عندما يتخلّى أحد الأطراف عن الموثوق فيه ويرفضه تصبح المواجهة بين المختلفين والمتخالفين حتميّة.

ولأنَّ الثّقة قيمة أخلاقية فهي منبع أمل يأملها الجميع بغاية الطمأنينة وإسقاط الظنون والشكوك، والثّقة قد تكون على مستوى الشّخصية، وقد تكون على مستوى الموضوع؛ فإنْ كانت على مستوى الشّخصية فهي تتعلّق بالتصرّفات والسُّلوك الذي من أساسه هو قابل لأنْ يتغيّر وينحرف عن مرتكزات غرس الثّقة، ممّا يستوجب تصحيح المعلومات الخاطئة التي تمّ تشرّبها بمعلومات صائبة تعيد الثّقة إلى الشخصيّة.

أمّا إذا كان الأمر يتعلّق بالموضوع فقد يكون الموضوع في حاجة للتغيير حتّى يواكب حركة التغيّر والتطوّر، ومن ثمّ، يسهم بشكل مباشر في معالجة المشكل أو بلوغ الحلّ.

فغرس الثّقة لا يكون إلّا بثبات المعرفة الواعية، المرشدة للحقّ، والمحرّضة على إحقاقه، وهو الذي به تكون القدوة قابلة لغرس الثّقة فيها؛ إذ لا وجود للظنون، وبذلك؛ فالثّقة مكمن الاعتقاد، والتصديق، والإخلاص؛ فعندما تتوافر بين الأطراف يتمّ الاستئناس والاطمئنان الذي يسرّع بعجلة التفاهم، والتفاعل الاجتماعي المفيد؛ فالثّقة تعني ممّا تعنيه إزالة الشكوك من صدور المختلفين ونفوسهم، وبها تدوم العهود، وتستمرّ العلاقات وتوثّق عُرى الرّوابط بين بني الإنسان.

وعليه؛ فالثّقة حزام أمان للمختلفين، حيثما توافرت بينهم زاد التّفاعل، والتفاهم، والتواصل، والتعاون، واتسعت دائرة المشاركة الممكّنة من التوافق الذي عراه لا تنفصم. وفي هذا الشّأن يقول المفكّر الأمريكي فرنسيس فوكوياما: "أهم العبر التي نستخلصها من دراسة الحياة الاقتصادية، هي أنَّ إصلاح حال أيَّة أمّة، والحفاظ على قدراتها التنافسية في السّوق الاقتصادية، يبقيان مشروطين بتوافر سمة ثقافية وحيدة وراسخة، ألا وهي الثّقة، ومدى توافرها، وتأصّلها في المجتمع"17.

ولأنَّ الثّقة قيمة حميدة فهي معطية رئيسة للتوافق ومنبع أمل يجمع ولا يفرّق، وهي ضرورة للتماسك بين المختلفين، ولهذا أصبح غرسها بين الأنا والآخر مبدأ يمكّن من التفاعل؛ فعلى سبيل المثال، العلاقة بين الحاكم والمحكوم إن غرست عن الثّقة، يصبح النظام مستقرّا بأمنه، وعدله، وتطوّره، ونظافة يد قمّة سلطانه، ولكن إن لم يكن ذلك متحقّقا على أرض الواقع، حيث وجود المخالف لكلّ ذلك؛ فلا شكّ سيكون الرّفض من الشّعب؛ ممّا يدعوه إلى سحب الثّقة من الحاكم، ومن ثمّ عزله، ومساءلته، ومحاسبته. وإن رفض سيكون رفضه في مواجهة الرّفض العام؛ فيسقط بالقوّة.

ولسائل أن يسأل:

. ما معطيات فقدان الثّقة؟

معطيات فقدان الثّقة كثيرة ومنها:

---

17. Francis Fukuyama. Trust: Social Virtues and Creatine of Prosperity 1995 P 9.

- الخيانة.

- التآمر.

- النفاق.

- الغموض.

- الأحكام المسبقة سلبيا.

- الإقصاء.

- التهميش.

- التغييب.

- الظلم.

- العدوان بغير حقّ.

ومن هنا؛ فإنّ فقدان الثّقة يدلّ على انعدام المصادق بين المختلفين والمتخالفين؛ ممّا يجعل البعض يفقد الثّقة في الحاضر؛ فيكون الخوف على المستقبل على رأس ما يدور في الصدور، وهذا الأمر يحفّز أصحابه على التمرّد والمواجهة والثورة.

إنّ فقدان الثّقة يعني ممّا يعنيه: اتساع الهوة بين الرّغبة والأمل، وهو التباين الواسع بين الواقع والمتوقّع؛ فالواقع عندما يصبح متردّيا لا يمكن أن يكون متوافقا مع الأمل. وبذلك تنعدم الثّقة بين من يحكم بغير عدلٍ؛ فيظلم، وبين من انتخبه أو ارتضاه حاكما في فترة من الزمن، ولذا؛ فجميع من يحكم ولا يسمح بالنقد البنّاء، ولا يولي اهتماما بمحاسبة الحكومة ومسألتها ومعاقبتها، ولا يمتثل

للقانون، لكونه أصبح لا يرى إلّا نفسه، أو بطانته؛ فبالضّرورة سيفقد ثقة الشّعب، وسيُسقط أرضا.

أمّا معطيات إعادة الثّقة فمنها:

الاعتراف بالآخر وتقديره واحترامه واعتباره واستيعابه وتفهّم ظروفه وخصوصيته، ثمّ الأخذ بقيمة العفو والصّفح والتصالح والتسامح مع وافر الأمانة والوفاء والعدالة.

ولهذا؛ فغرس الثّقة يعني ممّا يعنيه (نحن معا)؛ حاضرنا مُرضٍ مع وافر الرّغبة، ومستقبلنا كلّ يوم يتجدّد، ورغباتنا مع حاجاتنا المشبعة تتقدّم وتتطوّر، ممّا يجعل المسافة بين الحاضر والمستقبل متّصلة في حركة دائرية، مع حركة الأرض حول نفسها، وحركتها حول الشّمس، ولهذا فأيّامنا كلّ يوم تتجدّد ولا تتكرّر.

ومع أنّ علماء النّفس الاجتماعي قد صنّفوا الثّقة في إطار منظومة التكيّف، فأنّني لا أتفق معهم وأصنّف الثّقة في إطار التوافق الاجتماعي، ذلك لأنّ التكيف لا يسود إلّا بتقديم المزيد من التنازلات كما سبق تبيانه، وهذه لا تؤدّي إلّا إلى نزع الثّقة، أمّا التوافق فلا يسود إلّا بالإرادة وغرس الثّقة.

ومن ثمّ؛ فأمر غرس الثّقة السياسية أمر تعاقدي بين أصحاب القيم والمبادئ المحفّزة أخلاقيا على إدارة الحراك السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والنفسي، والثقافي، والذوقي؛ فالثّقة في دائرة الاختلاف والخلاف تُكتسب اكتسابا، ولا تمنح منحا عبثيا؛ ولأنّها تكتسب فهي لا تّكتسب إلّا بعد معرفة، وتجربة، ودراية واعية، بما يقال ويفعل، وهكذا هي تترسّخ وتقوى بقوّة التمسّك بالثوابت المرضية للنفس، والعقل، والجسد، والقلب، والرّوح.

ولأنّ الثّقة قيمة حميدة فلا تغرس إلّا في الثوابت التي لا عيوب فيها، وفيها محاسن، ولا تمنح إلّا لصاحب مقدرة على تحقيق المتوقّع في دائرة الممكن18.

مبدأ

التماس الاستيعاب

الاستيعاب assimilation قيمة احتوائية لا إقصائية، تعتمد تقبّل الآخر والاعتراف بوجوده وبممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمْل مسؤولياته. واستنادا على مبدأ التقبّل يستوعب الأنا الآخر كما هو لأجل أن ينقله إلى ما يجب أن يكون عليه. ولذا لا تتم عمليات التفاوض ولا تُحل المشاكل بين النّاس إلا بالاستيعاب الذي يُحفّز على التقارب ويؤدّي إلى التفاهم.

فالاستيعاب يُمكِّن الأنا والآخر من الإلمام بالموضوع ومتغيراته السلبية والإيجابية المؤثرة فيه بشكل مباشر أو غير مباشر، ويُمكِّن من التشخيص الموضوعي الذي يستوجب منهما ألّا يغفلا عن:

1 . استيعاب الإيجابيات، والتأكيد عليها، ونقلها للآخرين بوسائل مبسطة، تمكنهم من المعرفة، وتحفِّزهم على العمل.

2 . استيعاب السلبيات، وتحديدها، وإبراز عيوبها وأسبابها والعمل على إزالتها، وتنقية الموضوع منها، وتبيان الأضرار التي قد تنجم عنها.

[18] عقيل حسين عقيل، السياسة بين خلاف واختلاف، ص 215 . 220.

ومن ثم لم يكن التحليل الاستيعابي إبقائيا بالتمام، ولم يكن غرضه تثبيت المعلومات كما هي (سالبها وموجبها) بل إنّه تحليل تثبيتي إيزالي، به تُثبّت المعلومات الموجبة، وتُزال السالبة، ولهذا يتم استيعاب المعلومات السالبة كما يتمّ استيعاب المعلومة الموجبة، من أجل معرفة نقاط الاتفاق والاختلاف، حتى تتم عمليات التثبيت للموجب المفضَّل، والإزالة للسالب المؤلم.

ولهذا فإنّ التماس الاستيعاب مبدأ احتوائي، يقبل بالاختلافات ويعمل على احتوائها، ثمّ التجاوز لما هو أكثر أهمية. أي: من طبيعة الخلق أنّهم لا يمكن أن يتساووا في القدرات والاستعدادات والمهارات ولا حتى في الرغبات والحاجات، ولا في درجة الفهم والمعرفة، ومن ثمّ فمن الضرورة سيكون الاختلاف الذي يستوجب التقدير، حتى تتمم الفروق الفردية بين النّاس بعضها البعض. ولهذا كل مفردة هي في حالة نقص، ولا تستكمل إلا بآخر يستوجب الاستيعاب. وإن لم يحدث الاستيعاب تصبح الفرقة بين النّاس هي السائدة، ولأجل ذلك فإنّ قيم ممارسة الديمقراطية وحدها التي تمكّن من الاستيعاب وبدونها لا يمكن أن يتحقّق التفهم والتفاهم بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

إنّ مبدأ التماس الاستيعاب ضرورة بين الأنا والآخر يعتمد على القيم الآتية:

. الفهم: فهم الموضوع أو الحالة أو الخصوصيّة والإلمام التام بها، من حيث ما يؤثّر فيها بالسلب والإيجاب، وفهم متغيراتها وعللها وأسبابها ومراميها والغايات التي من ورائها.

. التفهُّم: تفهّم الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والنفسية والذوقية والثقافية التي تلمّ بالآخرين، ومراعاة آثارها على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي.

. الاعتراف: الاعتراف بالعميل من حيث إنّ له حقّوقا ومن حقّه أن يطالب بها ويمارسها، وإنّ له واجبات ويقدم على أدائها. وإنّ له مسؤوليات فلا يتأخر عن حمْلها، وتحمّل ما يترتب عليها من أعباء.

. التقدير: تحسيس الآخر بأنّه قيمة في ذاته، وأنّه مُقدَّر في شخصه وفي قراراته، ومشاعره وخصوصيته، وفيما يرغب أو يقبل أو يرفض، مع التأكيد على سيادة منطق (النّحن) الذي يستوعب الجميع دون استثناء، وذلك بالمواءمة مع الآخر واحترامه واعتباره، وباتباع أساليب الديمقراطية والشفافية التي بها تتأكد أهمية الأنا للآخر، الذي هو الآخر في حاجة لمن يستوعبه.

ولأنّ قيمة (النّحن) تكمن في منطقها الاستيعابي، إذن المنطق هو مكمن الحجّة بين الأنا والآخر.

فكلمتا (أنا وأنت) تسمحان بمسافة امتداد فراغي لتجذبا مشاعر الخوف إليهما، فكلما زاد تمسُّك الأنا بأناته اندفع الأنت لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظنون وتقلل من الثّقة التي ينبغي أن تسود بين أطراف الحوار. فأنا الفرد ينبغي أن أسود بكرامتي، وأنا الحرية ينبغي أن أعم النّاس، وأنا الشفافية ينبغي أن أكون في السُّلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصا لأهلي، وأنا الأبوة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي أن يُحرم أحد من مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرِّمت به الإنسانية، وأنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير،

وأنا النّاس كل النّاس الذين لهم حقّوق تمارس وواجبات تؤدى ومسؤوليات تُحمْل، وأنا كلمة حقّ لابدّ أن تقال. وأنت الباطل لابدّ أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرر، وأنت الاستعمار يجب أن تُهزم، وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوّة، فأنت لم تكن أنا فلماذا لا تفهم؟ ونحن معا نحن.

ولهذا نحن الجماعة لا يمكن أن تساوي نحن المجتمع، ونحن المجتمع المحلي لا يمكن أن تساوي منطق نحن المجتمع الإنساني. ولهذا فنحن الحُجَّة هي المنطق الجامع، ونحن الكلمة هي المفرّق بين الأنا والآخر.

من النصّ السابق تتضح قيم (النحن) الاستيعابية، التي تُمكِّن الأنا والآخر من الالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجَّة وبرهان، ولهذا أصبح حال لسان العرب نحن العرب، ولسان حال المسلمين نحن المسلمون، وأهل الغرب نحن الأوروبيين؛ فالمنطق الذي جعل حال لسان الشعوب والأمم حال خصوصياتهم هو الذي جعل منهم طرفين في مواجهة نحن الآخر المتمسّك بخصوصيته العرقية أو الدينية أو الجغرافية.

إذن فالقاعدة هي:

نحن معا على الكلمة السواء.

والاستثناء هو:

نحن لم نكن معا على الكلمة السواء.

وعليه:

. استوعب النّاس يتم استيعابك.

. اعترف بحقوق النّاس يتم الاعتراف بحقوقك.

. قدّر النّاس تنل التقدير منهم.

. عامل النّاس بشفافية تعامل بها.

. عامل النّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.

أي: لا يمكن أن يتمّ الاستيعاب إلّا إذا تهيأت له الظروف المهيّئة لإظهار القيم الآتية:

1 . المرونة.

2 . الاحترام.

3 . التقدير.

4 . الاعتبار.

5 . الاعتراف.

6 . الشفافية.

7 . التوافق.

8 . التكيف.

9 . التقبّل.

10 . المشاركة.

11 . التفاعل.

12 . الاستئناس.

13 . التطلّع.

ومن ثمّ التماس الاستيعاب يجمع شمل الأنا والآخر بعد الفرقة، أو اثناء الاختلاف الذي لا يمكن أن ينتهي ما دامت الحياة، وفي المقابل عدم الاستيعاب يؤدّي إلى التجزئة والفرقة والخلاف. فالقوّة الموحَّدة هي قوّة استيعابية، والمنطق السائد بين أفرادها وجماعاتها هو: (النّحن) حيث تحتوي الأنا والأنت على علائق قيمية مشتركة وتحمّل المسؤولية عن كل فعل يقدمون على تأديته أو عمله.

أمّا القوّة المتجزئة فتُضعف القوّة الموحَّدة، وهي تتمثّل في الاستقلالية والانسحاب من الكل حتى تصبح اللغة السائدة بين الأنا والآخر هي: (أنا، أنت، هو، هي).

مبدأ التماس الاستيعاب احتوائي:

الاستيعاب: فتح آفاق التقبّل والتفهّم أمام الجميع كما هم عليه، وليس كما يجب أن يكونوا عليه، ولهذا يعد الاستيعاب احتوائيا لا استثناءات فيه ولا حرمان. ومن هنا يعد الاستيعاب حيّزا نفسيا يسمح بقبول الآخر بما هو عليه من علل واختلاف مع تقدير ما يختلف به واحترامه، وهو منبع من منابع الأمل التي يأملها النّاس؛ فالاستيعاب كونه قيمة حميدة لا يكون إلّا بقرار مسبق، به يتمّ قبول الغير وتفهّم ظروفهم وتقدير أحوالهم وتقبّل ما يختلفون به أو بما هم به يتميّزون؛ فالاختلاف والخلاف توأمان في دائرة الاستيعاب، لا يقبلان بالرّأي الواحد، ولا الحزب الواحد، ولا الفكر الواحد، كما أنّهما لا يقبلان بأيّ إكراه، أو إقصاء، أو ظلم، أو قهر، أو عدوان بغير حقّ، وبذلك فقيمة الاختلاف

والخلاف تزداد أهمية وضرورة، كلّما ظهر ظلم، أو إكراه، أو حرمان ومع ذلك فأبواب الاستيعاب مفتوحة؛ أي لو لم يكن الاختلاف والخلاف، ما كان للاستيعاب وجود، ولا ضرورة ولا أهمية، ولأنّ الاختلاف والخلاف سابقان من سابقٍ على كلّ سابق فهما لا يكونان مستقلّين عن سابق معهما، وبذلك فهما الرّفيقان للعاقل الذي كان متميّزا بهما، وبالاستيعاب معا.

فالاستيعاب قيمة احتوائية، تعتمد تقبّل المختلف والمخالف، وتعترف بوجودهما، دون أن تتخذ أحدهما غاية في ذاته، بل دائما الغاية من ورائهما هي نيل المأمول، الذي لا يُفرّق فيه بين أحد وآخر إلّا بحقّ يختلف به كلّ منهما عن الغير؛ فالاستيعاب يُمكِّن أصحابه من الإلمام بالموضوع، كما يمكّنهم من تشخيص الحالة، وبلوغ النتائج القابلة للتطبيق، والتفسير، دون أن يغفل عن:

. استيعاب الإيجابيات، والتأكيد عليها، ونقلها للآخرين بوسائل مبسّطة تمكّنهم من التعرّف عليها، وتحفِّزهم على العمل بها.

. استيعاب السّلبيات، وتحديدها، وإبراز عللها، وأسبابها، والعمل على إزالتها، وتنقية الموضوع منها، وتبيان الأضرار التي قد تنجم عنها.

– استيعاب المختلف والمخالف، واحتواؤهما دون انحياز، ولا عصبيّة، انطلاقا من أنّ الفروق الفردية بين النّاس هي مكمّلة لبعضها البعض.

. استيعاب المختلف والمخالف، يمكّن من التفاهم، والتفهّم، ومن ثمّ يمكّن من تقويم الأحوال من أجل ما يجب.

. استيعاب المختلف والمخالف، ينهي التأزّمات، والآلام، والأحقاد والمظالم، ويمكّن من تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة.

. استيعاب المختلف والمخالف يجعل الأنا والآخر في دائرة (نحن معا).

. استيعاب المختلف والمخالف، يمكّن من توليد القوّة، وجمعها وتسخيرها لما يفيد، وتوجيهها إليه.

ولهذا، يجب أن يكون الاستيعاب بلا تردّد، والتقبّل حتى النّهاية التي بها تُدرك الأمور، وتتحسّن الأحوال، وتُبلغ الحلول. ولكن عندما تُفقد أو تنعدم هذه القيم ومثيلاتها، يحدث التفرُّق والصّدام والصّراع، وتتجذّر العداوات بين النّاس بأسباب التدافع عن غير حقّ.

فالتماس الاستيعاب مبدأ قيمي يجمع الشّمل، ويُمكّن من إنجاز الصّعب في دائرة الممكن، وهو الممكِّن من الوقوف على نقاط التمركز والتشتُّت التي تجعل المختلفين على الفرقة والضّعف، ممّا يستوجب الأخذ بنقاط الالتقاء واعتمادها جزءًا من الحلّ، ونقاط الاختلاف واعتماد تجنّبها جزءًا من الحلّ، فالإلمام بالحالة أو المشكلة، وظروفها المتنوّعة، والمتغيّرة، والمتباينة، والمتصادمة، يُمكّن الجميع من معرفة العلل، والأسباب مكامن الإصلاح والحلول، حيث لا حلّ إلّا وهو نابع من عِلةٍ، أو سببٍ.

وعليه؛ فالتماس الاستيعاب، هو المحفّز والدّافع إلى الحلّ، الذي لا يتمّ بلوغه إلّا بعد خوفٍ يُمكّن منه.

ولسائل أن يسأل:

كيف يمكن أن يكون التماس الاستيعاب، لو اتخذنا العرب مثالا للتطبيق؟

أقول:

العرب مع أنّهم بنو قوم واحدٍ، إلّا أنّهم متفرّقون بين تقي وشقي، وظالم وعادل، وحاكم ومحكوم، وسيدٍ ومسود، وغني وفقير، وقاصٍ ومُقصٍ، ومستقرٍ ومهجّر، ومسلمين ومسيحيين، وسنّة وشيعة، وكرد وتركمانستان، ودروز وأمازيغ، وطوارق وتبو وغيرهم من التنوّع الذي يرسم خريطة الوطن العربي ويزيدها جمالا.

ولذا، إنْ أرادت العرب حلّا لمشاكلها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والنفسية، والذوقيّة؛ فعليهم بالتماس الاستيعاب الذي لا يستوجب اشتراطات سوى الجلوس معا تحت مظلّة الوطن الواحد للشّعب الواحد، من الحدود إلى الحدود، وطن فيه الحقوق تمارس، والواجبات تؤدّى، والمسؤوليات تُحمْل، والتداول السّلمي على السّلطة هو العنوان الذي يضمنه الدستور.

أمَّا الاشتراطات فهي عبارة عن مجموعة من الموانع والعَقبات التي توضع من قِبل أحد الأطراف ضدّ الأطراف الأخرى؛ فتحول دون التّمركز على قاعدة الاعتبار (نحن معا)، فيتولّد الإقصاء والتغييب والتهميش، والعزل السياسي، وهذه جميعها تدفع الإنسان إلى الرّفض والتمرّد والتطرّف والثورة التي ليس من بعدها إلّا بلوغ الحلّ.

ولذا؛ فالاشتراطات في كثير من الأحيان مصدرها فوقي، تصدر من أعلى درجة طبقية إلى أسفل درجة على درجات السُلَّم القيمي، وهي إملاءات مانعة للاستيعاب، وتتطلّب تنازلات، ثمّ المزيد من التنازلات كلّما تمَّ قبول اشتراطٍ من اشتراطاتها، ممّا يخلق حالة من الجفاء لا يكون من بعدها إلّا ما يقطع خيوط الاتصال التي يمكن أن تربط مع الآخر.

فالسّلطان، أيّ سلطان، إنْ أراد له ربيعا مزهرا؛ فعليه بالاستيعاب، الذي يجمع المواطنين تحت مظلّة (الوطن ملك للجميع،) ولكن إنْ أراد مشاهدة أوراقه تتساقط فعليه بالإقصاء، والتغييب، والتعذيب، والتحقير، والتسفيه، وارتكاب المظالم.

وفي المقابل، ستظل قمّةُ السّلطان في الدّولة قمّة، إذا تمّ اختياره برغبة، ووفق عقد اجتماعي، وعن إرادة حرّة، وكان عادلا مقتدرا، يتقبّل الجميع ويستوعبهم تحت مظلة الوطن الدّافئة، أمّا من يقدمُ على أفعال الإبعاد، والحرمان، للمواطنين بغير حقّ فلا يستغرب إنْ واجهه برد قارس، يجعل أوراق سلطانه تتساقط، كما تتساقط أوراق الخريف.

ولأنّ التماس الاستيعاب مبدأ احتوائي فهو المحتوي للقيم التي تعترف بالآخر، وتتقبّله مشاركا وطنيا، يمارس حقوقه، ويؤدّي واجباته، ويحمْل مسؤولياته، ومن ثمّ لن تُحلّ المشاكل بين النّاس، إلّا بالاستيعاب الذي يُحفّز على التقارب، ويؤدّي إلى التفاهم؛ أمّا الإقصاء والتغييب والعزل السياسي فلا تؤدّي إلّا للفرقة واتّساع الهوة بين المواطنين.

إذن: لا تُحلّ المشاكل بين النّاس إلّا بالتماس الاستيعاب، ولا يُصنع المستقبل المشترك إلّا بالاستيعاب الذي يُحفّز على التقارب، ويؤدّي إلى التفاهم، ويمكّن من الاندماج والوحدة، ويحقّق الأمن والعدالة والإعمار والبناء، كما أنّه يؤدّي إلى التسامح والتصالح، ومن هنا فهو منبع أمل.

والتماس الاستيعاب كونه مبدأ؛ فهو المستمدُّ من قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النّاس وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}19،

تبيّن هذه الآية أنّ الاستيعاب قيمة جمعيّة على ثلاث مراحل:

المرحلة الجمعية الأولى: جاءت المخاطبة للأمّة الوسط جميعها لا لفرد، ولا لجماعة بعينها، ولا لطائفة من طوائفها، ولكن كيف يمكن للأمّة الوسط أن تكون مجموعة (وحدة واحدة)؟

بالتأكيد الأمر ليس هيّنا مع أنّ معطية الجمع بيّنة لا غبار عليها؛ فالأمّة الوسط بدون شكّ لا يجمعها إلّا الحقّ البيّن، والحقّ بالنّسبة للأمّة الوسط منزَّل تنزيلا، ولأنّه الحقّ من عند الله فهو الثّابت الذي لا يتغيّر، ولهذا ستكون الأمّة الوسط شاهدة على النّاس يوم القيامة بالحقِّ الذي لا يتغيَّر.

المرحلة الجمعيّة الثانية: جاءت المخاطبة للنَّاس (الجمع المطلق) مصداقا لقوله تعالى: (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النّاس) فهي لم تستثن أحدا من النّاس، أفرادا وجماعات، وطوائف وشعوبا، وقبائل وأقواما وأمما، ذلك لأنّ الدّين الذي ستكون الأمّة به شاهدة على النّاس هو دين النّاس كافّة، {يَا أَيُّهَا النّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}20.

---

[19] البقرة 143.

[20] الحجرات 13.

المرحلة الثالثة: إنّ الأمّة التي ستكون شهيدة على النّاس يكون الرَّسول الكريم محمَّد عليه الصَّلاة والسّلام هو الشّهيد عليها، ولأنَّ الأمّة كلّ الأمّة هي شاهدة على النّاس؛ فبطبيعة الحال سيكون الشّهيد على الشّاهدين على النّاس شهيدا على الكافّة، ولأنّ الرَّسول محمَّدا عليه الصَّلاة والسّلام مُرسل للكافَّة؛ فكيف لا يكون هو الشّهيد على الكافّة؟ {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النّاس لَا يَعْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ} 21.

وعليه؛ فالاستيعاب قيمة امتدادية ترسي قاعدة القبول بين الأنا والآخر وفقا لقاعدة النسبية حيث لا مطلق إلّا من عند الله تعالى، ولذا تترتب قيم الأفراد والجماعات اجتماعيا على السّلم القيمي من المستوى الأناني إلى الانسحابي إلى الذاتي ثمّ إلى التطلعي والموضوعي.

وبناءً على هذه المستويات القيمية الخمس تمتدّ قيمة الاستيعاب أو تنكمش.

ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، فإنّ استيعاب البعض للبعض هو الذي يؤدّي إلى توسيع دائرة القبول التي تؤسّس قاعدة للتعامل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وبما أنّ الاستيعاب قيمة احتوائية تطوى الهوة بين الأنا والآخر.

إذن: القاعدة هي:

الاستيعاب يطوي الهوة.

---

[21] سبأ 28 . 30.

والاستثناء هو:

الإقصاء يزيد الهوة اتساعا.

ولهذا فالاستثناء هو الاستثناء.

ولتوضيح ذلك، علينا أن نجيب على السؤال: كيف يصبح الاستثناء هو الاستثناء؟

أقول:

عندما تستثني جماعة ما عضوا من أعضائها من المشاركة، أو يستثني مجتمع ما جماعة من جماعاته من المشاركة، فإنّ هذا الاستثناء يخالف القاعدة التي تستوجب مشاركة كلّ أعضاء الجماعة دون استثناء.

ولهذا فالمشاركة استيعابية، وهذه قاعدة.

والاستثناء لا استيعابي، وهذا استثناء. أي: إذا اعتمد البعض الاستثناء قاعدة؛ فسيجدون أنفسهم يوما ما مستثنين، ولهذا يجب أن يستثنى الاستثناء ليكون الاستيعاب هو القاعدة، وهنا تكمن الحلول والمعالجات والخروج من التأزّمات.

ووفقا لقاعدة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، يمكن أن يكون الضّعف قوّة استيعابية، ويمكن أن تكون القوّة ضعفا استثنائيا.

على سبيل المثال: طاعة الوالدين.

هل هي ضعف أم قوّة؟

الإجابة الموضوعية أنّها تقع في دائرة الممكن.

كيف؟

من زاوية أنّها قوّة إيمانية (طاعة الوالدين في غير معصية الله واجبة).

ومن ناحية عقلية منطقية مجرّدة؛ فهي القبول بالخضوع، بتنازلات قد لا تكون مرضية للأنا (على عكس رغباته أو طموحاته)، ولهذا قد ترغب الأنا الإقدام على فعل الشيء، وفي الوقت ذاته تواجهها قوّة ممانعة أو رفض من الوالدين أو أحدهما.

وهكذا الحبّ هو الآخر ذو أثر قوّة، وأثر ضعف في دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع).

ولذا فالحب قوّة موجبة، وقوّة سالبة.

قوّة موجبة: حيث يُمكّنك من استيعاب الآخر بلا تردّد، وغزوه أو غزوك بلا حدود.

وهنا نلاحظ شيئين متناقضين هما:

الاستيعاب الموجب: الذي فيه فُسحة للنفس وللذّوق الرّفيع ولقوّة الحواس، إذ ينقلك من مواقع الغفلة إلى قمم الفطنة، التي تمدّك بالصّحوة في كلّ حين، وتفتح أمامك آفاقا تُمكّنك من نيل الاعتراف والتقدير، وتجعل مشاعرك في حالة فيض كلّما تُبادل بمثلها. وهنا يكون الحبّ قوّة تمركز التعادل بين المحبّين؛ فكلما تمتد مسافة لتملأ الآخر مودّة تقدّم نحوك بالتماثل ليملأك ودّا، وحينها يصبح الحبّ بين (الأنا والآخر) قوّة استيعابية، تُمكّن من الإبدّاع والعمل المنتج والتحدّي لمواقع الضّعف متردّدا.

أمّا الاستيعاب السّالب: فهو الذي يجعلك في حالة تقديم مزيدٍ من التنازلات كلّما فكَّرت في الابتعاد، أو الانفصال، كونك لا تطيق الفراغ من بعده (بعد غزوته) التي جعلتك أسيرا بلا قوّة.

والذي يسيطر عليك هنا ليس القوّة كما تعتقد، بل الضّعف (القوّة السّالبة للإرادة) ولذا وفقا لقاعدة المتوقّع ستكون أسيرا خائفا متردّدا.

أمّا بالنّسبة لغير المتوقّع فمن الممكن أن تقبل بدفع الثّمن وتنفض الغبار من على ظهرك. ما يجعلك في حالة استرداد للقوّة. وتأكد أنّك تستطيع أن تفعل إذا كانت الغزوة استعمارية استعبادية أو استعلائية. أمّا إذا كان ودّا متبادلا إراديا فيكون الحبّ قوّة تستوجب الاحترام والتقدير دون أن تكون هناك مغالبة.

وعليه، فالمحبّة قوّة غازية متحدية تداهم كلّ قوّة، ممّا يجعل المحبّ ليس له بدّ إلّا رفع راية الاستسلام وهنا يكمن الضعف قوّة.

وفي كلتا الحالتين الحبّ قوّة بضعفه وبقوّته، ولهذا لو لم يكن الضّعف قوّة ما كان له الأثر السّالب، ولو لم يكن الحبّ قوّة ما كان له الأثر الموجب.

وعليه: إنّ التماس الاستيعاب للأنا والآخر ضرورة ولا يكون إلّا بقبول تقديم شيء من التنازلات من أجل الحلّ أو بلوغ الغايات ونيل المأمول المشترك، ومع ذلك فإنّ التنازلات هنا لم تكن على حساب ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات، بل هي داعمة لها توافقا. فالاستيعاب قيمة ذات أثر على شخصيات الأفراد والجماعات والمجتمعات بدرجات غير متساوية، ونظرا لوجود الفروق الفردية من حيث القدرات والاستعدادات والثقافة والتعليم، فإنّ شيئا من التنازل يجعل من قيمة الاستيعاب ضرورة ذات أهمية تستوجب الاحترام والاعتبار

والتقدير كما تستوجب التفهّم الذي يجعل لكلّ خصوصية أهمية على السُلَّم القيمي وفقا لخماسي عقيل لتحليل القيم الذي يأخذ المستويات الآتية:

أولا ـ المستوى القيمي الموضوعي ويتمركز على:

ـ تقبّل الآخر كما هو بغضّ النّظر عن لونه أو جنسه أو دينه أو انتمائه أو خصوصيّته الاجتماعية، مع تقديره واحترام آرائه بما يُمكّن الأفراد من التواصل والتفاعل الاجتماعي والإنساني.

ـ التفهُّم المتبادل بين الأنا والآخر يعدّ أساسا لبناء مجتمع الفكرة الذي يؤسّس على تبادل القيم الفاضلة.

ـ التعامل بكل شفافية مع الآخر يحقّق الاستيعاب والتفاعل والتماسك والترابط بين ذوي الخصوصيّات.

ـ التملك وفقا للحاجة، والعمل وفقًا للتخصص والخبرة، والإنتاج وفقا للمواصفات والمعايير النوعيّة.

ـ المساواة في اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته.

ـ التجرّد من الانحياز غير العادل.

ـ إدراك الحقائق كما هي لا كما يجب أن تكون عليه من وجهة النظر الخاصّة.

ـ الأخذ بالمصادر الطبيعية كالعرف والدّين في تقييم وتقويم السُلوك والفعل.

ثانيا ـ المستوى التطلعي ويتمركز على:

. الانفتاح على الآخر من أجل ما يفيد مع عدم التفريط في الذّات التي ينتمي إليها الأفراد أو الجماعات.

. إدراك ما يجري ومحاولة تكوين علائق على أكثر من مستوى موجب.

. التهيؤ للتغيير النافع.

. الاعتماد على المنطق في المحاجّة.

. المقدرة على الاستنباط المجرد للحقائق.

. الطموح بما لا يطمس الهويّة.

. الاعتدال والاتزان الانفعالي مع القيم الذاتية والقيم المتطلّع إليها.

ثالثا . المستوى الذّاتي ويتمركز على:

. حبّ الذّات الاجتماعية.

. التعصُّب إلى مقوّمات الخصوصية حتى لو كانت عن غير صواب.

. التمسّك بالموروث حتى وإن كان في حالة عدم اتزان مع واقع العصر.

. التباهي بالذّات الاجتماعية حتى وإن لم تكن مواكبة لحركة التغيّر المفضّل.

رابعا . المستوى الانسحابي ويتمركز على:

. الانسحاب من القيام بالأفعال الموجبة أو المشاركة فيها.

. الميل إلى الأنانية.

. عدم تحمُّل المسؤولية.

. عدم الإسهام في بناء الشخصية الوطنية.

. التمسّك بمطالبة الحقوق والانسحاب من أداء الواجبات.

. لا تُعد السّلبية من الأعمال المعيبة.

. التمثيل لا يعدّ عيبا، وبالتّالي من يستطيع أن يقوم بالواجبات نيابة عن المنسحب وعلى حسابه فليقم بها.

خامسا . المستوى الأناني ويتمركز على:

. الأخذ بالأنانية وعدم تقبّل الآخر.

. تغليب مصلحة الأنا على مصلحة الذات.

. تجاوز الحدود على حساب الآخرين.

. المعيار: (أنا كلّ شيء).

. المقياس: (الأخذ بدون عطاء).

وعليه:

. لا تكن أنانيا فالأنانية نقيصة.

. لا تكن انسحابيًّا من اتخاذ المواقف الموجبة؛ فالانسحاب معيبة لا تليق بمن خلق في أحسن تقويم.

. احترم ذاتك يحترمك مجتمعك ويُقدّرك الآخرون.

. تطلّع إلى ما هو أفضل وأجود تحدث لك النقلة وتصنع لك مستقبلا.

. كن موضوعيا تنل الاحترام والتقدير وتكسب الهيبة.

مبدأ

استبصار التقبُّل

التقبُّل acceptance: استعداد نفسي وأخلاقي وإنساني ومهني لإعطاء الآخر حيّزا من الاستيعاب، وفسحة تسمح بالامتداد المتبادل بين المتقابلين؛ تقديرا لقيمة الإنسان، وليس تقديرا للانحرافات عن القيم والقوانين المصاغة والمعتمدة من أفراد المجتمع وجماعاته. وعندما يصبح التقبّل حقّ للأنا والآخر يظل مبدأ لاستبصار الحقيقة. ويتمركز مبدأ استبصار التقبّل على الاعتراف بالآخر وتقديره واحترامه واحترام معارفه وثقافته والعمل على تغيير حاله إلى ما يجب ثم التطلع به إلى إحداث النُقلة.

فاستبصار التقبّل حالة تبادلية بين ذوي العلاقة بالموضوع فكما هو حقّ على الأنا حقّ للآخر.

مكونات مبدأ استبصار التقبّل:

يتكون من قيمتين أساسيتين هما:

1 . قيمة الاستبصار

2 . قيمة التقبّل.

ولا يمكن أن يكون التقبّل مبدأ، ولا يمكن أن يكون الاستبصار مبدأ، ولكن بمكونهما القيمي المشترك يتكون مبدأ (استبصار التقبّل). فالمبدأ يتجسد في السُلوك والفعل، والقيمة ستظل ذات معانٍ ودلائل وأبعاد فيما تحمله من مضامين ذات علاقة بالمصادر التي تستمدّ منها كالدين والعرف. وعندما تتجرّد السُلوكيات والأفعال من القيم تصبح الأقوال والأفعال والسُلوكيات بدون معانٍ

وكأنّها (أجساد بدون أرواح). وعندما تحمل القيم معانيها القابلة للممارسة والتطبيق تصبح مبادئ قابلة لأن تترجم في سلوك وفعل.

ولهذا؛ لا تفاهم ولا تفهُّم بدون تقبّل؛ لأنّه القيمة التي يجب الالتزام بها إرادة؛ ولذلك فالتفاهم يعتمد على الاتفاق الذي يصل إليه كل من الأنا والآخر.

أمّا التفهُّم: فهو الذي فيه يتحقّق التقدير (تقدير الظروف الموضوعية والمكانية والزمانية المتعلقة بأمر الآخر والحالة التي هو عليها).

ولهذا؛ فاستبصار التقبّل ضرورة لكلّ من الأنا والآخر، أي: إذا لم يستبصر كلّ منهما أنّ شعورا اتجاهه يفسح له مجالا واسعا للتفاهم والتفهّم من أجل مستقبل مشترك لا يمكن أن تسود بينهما علاقة مرضية؛ ولذلك فإن التقبّل يؤدّي إلى:

- التفاعل.
- المشاركة.
- التفاهم.
- التفهّم.
- التجاوب.
- إظهار الباطن (الكامن).

تقبّلني كما أنا أتقبّلك كما أنت:

بما أنّ الفرض المثبت ينص على التقبّل المتبادل (تقبّلني كما أنا أتقبّلك كما أنت).

إذن: لا يمكن أن تعتدل كفتي الميزان بين الأنا والآخر إلا بشرط القبول بتماثل.

لذا؛ على الأنا إذا أراد أن يتمّ تقبّله من قبل الآخر أن يعرف أنّ تقبّله لن يتمّ من قِبله إلّا إذا تمكَّن هو من تقبّله كما هو.

إذن قاعدة استبصار التقبّل هي: (تقبّلني كما أنا أتقبّلك كما أنت).

وبما أنّه إذا لم تتقبّلني كما أنا لن أتقبّلك كما أنت. فلماذا لا نعترف بقاعدة: (نحن معا).

ولهذا؛ يجب أن يتقبّل الأنا الآخر تفهّما حتى يستبصره الآخر واعيا بما له وما عليه؛ ولأجل ذلك ينبغي أن يبدأ الأنا مع الآخر من حيث هو؛ لأجل أن يسهم في نقله إلى ما يجب أن يكون عليه، وهو المستهدف من وراء تقبّله كما هو.

وعليه:

استبصار التقبّل شعور تجاه الآخرين يمكّن النّفس من الانفتاح تجاههم سواء بمبررات المحبّة، أم بمبررات المهنة التي تستوجب تقبّل العملاء هم كما هم دون أيّ اشتراطات علائقية.

فالتقبّل لكونه منبع أمل فهو قيمة لا تكون متحققة إلّا عن تراضٍ، ولا تكون إلّا بين المختلفين، واستبصار التقبّل لا يكون إلّا بالتجاوز عما يُقلق، وقبول النّاس هم كما هم عليه وليس كما يجب أن يكونوا، فما يجب أن يكونوا عليه هو المأمول.

ولأنّ الحياة متكوّنة من المختلف والمتنوّع؛ فمن أجل الحياة الطبيعية للإنسان، وجب تقبّل المختلف المتنوّع، ومن يخالف ذلك يجد نفسه خارج دائرة التقبّل التي تتّسع للمختلفين والمتخالفين دون استثناء ولا تحيّز.

فدائرة التقبّل استيعابية استدعائية، فهي استيعابية؛ لكونها لا تقصي ولا تستثني أحدا، أمّا كونها استدعائية؛ فهي الدّائرة التي تحفّز المختلفين على المشاركة، والتفاعل؛ فتستدعيهم نفسيا وذوقيا، كما أنّها تستدعيهم خبرة وتجربة ومعرفة، وبكلّ المغريات الأخلاقية، وتفسح بينهم المجالات الواسعة من أجل أنْ يمتدّ البعض تجاه البعض امتدادا متبادلا، دون أن يكون امتداد أحد الأطراف على حساب آخر.

التقبّل قيمة إنسانية اعترافية: وفقا لحقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسئوليات تُحمل؛ ولأنّه كذلك؛ فهو المؤسّس على قاعدة (نحن معًا) التي تشترط أن يكون التقبّل بين المختلفين والمتخالفين قائما على تقبّل كلّ للآخر وفقا لقاعدة (هو كما هو)، وليس على قاعدة (كما ينبغي له أن يكون عليه)؛ فما ينبغي أن يكون عليه، هو هدف قابل للتحقّق دون إكراه، وبذلك يتمركز مبدأ حقّ التقبّل على الاعتراف بالآخر، وتقديره، واحترامه، واحترام معارفه، وثقافته، والعمل على تغيير حاله إلى ما يجب أن يكون عليه، ثمّ التطلُّع به إلى إحداث النقلة التي تمكّنه من معايشة المستقبل الذي يأمله.

فمبدأ استبصار التقبّل مؤسّس على قيمة الاختلاف؛ فلو لم يكن الاختلاف سابقا على التقبّل ما كان للتقبّل أهمية وضرورة، ولأنّه المترتّب على الاختلاف، والاختلاف حقّ، إذن، التقبّل هو الآخر حقّ بين من تربطهم علاقات أخلاقية، واجتماعية، وإنسانية. ولهذا عندما تتوافر لديك رغبة تقبّل

الآخر فعليك بمنحه الفرصة التي تمكّنه من استبصار مشاعرك تجاهه، أي: إنّ الاستبصار قيمة تفحصيّة استبيانية استطلاعية بغاية التبيّن قبل اتخاذ القرار إقداما أو إحجاما؛ ولذلك فهو حقّ ينبغي له أن يمارس.

ولأنّه حقّ؛ فالحقّ يؤخذ، ويطالب به، ويعطى، ويمارس؛ ولهذا تقبّل الإنسان للإنسان حقّ؛ ولأنّه كذلك فهو حقّ تبادلي بين المختلفين، أي: كما هو حقّ على الآخر، فهو حقّ له أيضا.

إنَّ حقّ التقبّل فعل إرادي تكفله القيم الإنسانية، والدّيانات السّماويّة، والأخلاق الاجتماعية. ومن ثمّ توجد علاقة تلاحق مستمرّة بين الاختلاف والتقبّل ولن تنفصل مصداقا لقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}22، أي: إنّ الله خلق النّاس على الاختلاف؛ لهدف واضح وهو التعارف وتقبّل البعض للبعض، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}23.

والتقبّل غير القبول، فالتقبّل قد يكون عن رغبة وقد يكون للضّرورة والحاجة، أمَّا القبول فلا يكون إلّا عن إرادة ورغبة، ولذا؛ فالتقبّل قيمة معياريّة يؤسّس على استعداد النّفس لإعطاء الآخر قيمة وحيّزا من الاستيعاب، وفُسحة تسمح بالامتداد المتبادل بين المختلفين على الموضوع المشترك؛ تقديرا لقيمة الإنسان وحقوق المواطنة.

ولأنَّ الإنسان مكوّن تركيبي معقّد؛ فله من الأنفس ما يجعل البعض على الطّمأنينة، ويجعل البعض على غيرها اضطرابا، وخوفا، وقلقا، وشُحّا، ولأنّه

---

[22] هود 118، 119.

[23] الحجرات 13.

كذلك؛ فيجب تقبّل المختلفين (همّ كما همّ)؛ لأجل نقلهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه من الفضائل، والقيم، والأخلاق، والعمل النافع.

ولهذا؛ فالتقبّل قيمة أخلاقية وإنسانية تتمركز على الاعتراف بالآخر، وتقديره، واعتباره، وتفهّم ظروفه وحاجاته، واحترام معارفه، وثقافته، وحضارته، ومعتقده، والعمل على تغيير حاله إلى ما يجب، والتطلُّع به إلى إحداث النُقلة التي بها يُصنع المستقبل المأمول.

ولهذا؛ فإنَّ استبصار التقبّل مبدأ معياريّ تبادلي بين ذوي العلاقات؛ فكما أنّ التقبّل حقّ على الأنا؛ فكذلك هو حقّ على الآخر، وحقّ لهما معا، وإنْ تقبّل الأنا الآخر (هو كما هو) وجب على الآخر أن يتقبّل الأنا (هو كما هو) أيضا؛ ليعملا معا من أجل مصالح، وأهداف مشتركة، سواء أكانت المصالح المشتركة بين أفراد الشّعب، أم بينهم وبين الآخرين من الأمم والشّعوب الأخرى.

فمبدأ استبصار التقبّل فعل إرادي تكفله الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة لكلِّ إنسان حتَّى يتمكّن من ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسئولياته برغبة قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[24].

بناء على هذه الآية الكريمة؛ فإنَّ قيمة التقبّل تُعدُّ التزاما تامّا بتقبّل من يؤمن بآيات الرّحمن؛ فمن يقول للنّاس سلام عليكم ليس لهم بدٌّ إلّا أن يردُّوا السّلام بودٍّ وبأحسن منه، وهذا دليل على ترسيخ قيمة التقبّل في نفوسهم،

[24] الأنعام 54.

وأخلاقهم المستمدّة من الفضائل الخالدة، المستمدّة من كتاب الله تعالى. ثمّ، أكّدت الآية الكريمة أهميّة قيمة التقبّل للآخر الذي تاب وأصلح من بعد ارتكابه أفعال سوء بجهالة، وأكّدت على أنّه سينال المغفرة.

ولأنّ استبصار التقبّل مبدأ أخلاقي، لإظهار حُسن النيّة بهدف إصلاحي، ولأجل غاية إنسانية هي التعارف الممكّن من المشاركة وحمْل المسئولية الجمعية؛ فلا ينبغي لاستبصار التقبّل أن يكون حاملا في أحشائه شيء من الرّفض، أو غض النّظر، أو الإقصاء، والتغييب، والتحقير، والاستعلاء، ولهذا؛ فمن يرى نفسه مصلحا، أو أنّه يريد إصلاحا؛ فلا ينبغي له أن يغفل عن أيّ طرف من أطراف العملية الإصلاحية، من أجل تغيير أحوالهم من سلبيّة، إلى إيجابيّة.

مبدأ

إحراز التقدير

التقدير قيمة تقييمية، تربط الجهد بالإنتاج أو المدخلات بالمخرجات، قيمة عليها يكون التسابق بكل قوّة مع المحافظة على المسافة التي تسمح للآخر بالحركة في ذات الاتجاه دون عرقلة مقصودة، وبناء على النتائج المنجزة تتميّز كل خصوصية بما تمتاز به عن خصوصيات الآخرين. ولا تسود قيمة التقدير بين النّاس إذا لم يمارسوا الحرية بأسلوب ديمقراطي.

ولأنَّ التقدير قيمة جاء (إحراز التقدير) مبدأ يحتوي مطلبا يشبع رغبة، ممّا يستوجب من راغبٍ في ممارسة السّلطة أو امتلاك الثروة، أن يحسّ بتماثل حاجات الآخرين له في ممارسة هذه الحقوق وامتلاكها. وعندما يصل (الأنا

والآخر) إلى هذا المستوى من التقدير ينال كل منهما نصيبه بإرادة، ويتمكّنان من العيش معا في المكان والزّمان الواحد، وينال كل منهما مكانة عند الآخر، مما يجعلهما يحسان بحاجتهما للبعض وأنّ كلّ منهما على درجة من الأهمية التي لا ينبغي أن يستهان بها أو يَغفل عنها.

تنسيق (الخط الأحمر):

لدى عقل الإنسان خط أحمر يفصل بين درجة التقبّل ودرجة الرّفض، فكلما زادت درجة التحمُّل عند الإنسان كانت حركة الامتداد الذهني في مجال التقبّل، وكلّما قلت درجة التحمّل اقتربت من خط التماس الأحمر الذي بتجاوزه يدخل حيّز الرفض الذهني ما يؤدّي إلى الإقدام على تقبّل المخاطرة، أو دخولها بسرعة التعمق في منطقة الرفض.

ولذلك توجد أيضا منطقة توازن ذهنية تفصل بين امتداد الرّغبة في حيّز الرفض، وما يشبع الحاجة في حيّز القبول، وعندما يكون تفكير الإنسان في منطقة التوازن الذهني يصبح سلوكه اعتداليًا.

وعليه هناك ثلاثة مجالات للامتداد الفكري أو النشاط العقلي:

1 . التقبّل رضا.

2 . الرفض غضبا.

3 . التوازن اعتدالا.

ولذا؛ فإنَّ عقل الإنسان في حاجة لتنسيق قدراته واستعداداته لكي يحافظ على عقله، وإذا انفلتت قدراته العقلية عن التنسيق الداخلي فلابدّ أن تسوء العلاقة بين العقل والنفس، وفي هذه الحالة لابدّ أن يقع الصّراع الذي تكون

نتيجته فقدان السيطرة، وهكذا تستمر الحالة إلى أن يعود إلى منطقة التوازن (التنسيق) التي من بعدها يعود إلى منطقة الاعتدال (اعتدال النفس مع العقل)، وإن لم يعد إلى منطقة التوازن ذهنا وعقلا فلا شكّ ستكون المواجهات السّالبة مع الآخر عن غير إرادة (بلا سيطرة) ممّا يجعل الآخر الواعي يلتمس العذر لغيره.

إنّ منطقة التنسيق أو التوازن هي منطقة التفاوض والحوار بين الأنا والذات في حيز الضمير Conscience، الذي يضبط حركة امتداد الأفكار وامتداد السُّلوك من الداخل إلى الخارج أو بالعكس.

إنّ التنسيق متلازم مع الحياة الاجتماعية للإنسان، فلا يمكن أن يسود النظام والتعاون بين أفراد المجتمع إلّا إذا جلس الجميع في منطقة التنسيق (منطقة الجميع) أو منطقة الخط الأحمر الذي يُعد تجاوزه دخول في منطقة الرفض، ويعد الوقوف عنده جلوس على مائدة التفاوض في منطقة الاعتدال.

إذن: التنسيق بين الأنا والآخر ضرورة؛ لتفادي الصّدام والصّراع سواء أكان صراع بين النفس والعقل لدى الفرد الواحد، أم صراع بين الفرد والآخر. وقد يتساءل البعض:

. هل كل فرد وجماعة ومجتمع في حاجة للتنسيق؟

نعم، التنسيق حاجة وضرورة ينبغي للأنا والآخر أن يستبصراه، وإلّا سيكون النزاع والخلاف والصدام في الوقت الذي لا ينبغي له أن يكون إلّا دفاعا عن النفس والقيم الحميدة والفضائل الخيّرة.

مبررات التنسيق:

1 . الخوف:

الخوف دائما قيمة موجبة؛ ولهذا العبد يخاف المعبود، والسليم يخاف المرض، ومشبع الحاجات يخاف الحاجة عوزا وفقرا، والصّادق يخاف الكذب، والآمن يخاف الاعتداء؛ ولهذا وجب الخوف على الشرف، والخوف على الدين والعرف واللغة، والخوف على التاريخ بكامله، وعلى البلد بكاملها. فعندما تضع اعتبارا لأهمية كل ذلك بالنسبة إليك فلا تنس هذه الأهمية بالنسبة إلى الآخر. ولذلك فإنّ عملية التنسيق ضرورية على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي والإنساني فلا تغفل عنها.

إنّ الإحساس بالخطر يستوجب أخذ الحذر الذي يترتّب عليه أخذ الحيطة باختيارات المواجهة أو اختيارات الانسحاب، ولكن إذا لم يكن الأمر محسوما لصالح أحد الاختيارين، يصبح التنسيق هو الحلّ، وذلك حسب التقديرات والاحتمالات الممكنة.

وسيظل هذا الحال كلّما توافرت اشتراطات وجود الخوف الذي يترتّب عليه بالضرورة وجود خائف ومخيف. وعندما يحس أيّ طرف بأن هناك من يشكّل خطرا عليه فقد يبادر هذا الطرف الذي يحس بالخطر بالهجوم على مصدر الخوف ليباغته بضربة قاسمة يمكن أن تضعف الخصم وتعيده إلى طاولة المفاوضات (طاولة التنسيق).

فعلى سبيل المثال: الصّراع بين العرب والإسرائيليين على الأرض أنتج الشعور بالخوف المتبادل، خوف العرب من إسرائيل أن تمتلك الأرض المحتلة، وخوف إسرائيل من العرب أن يخرجوها بالقوّة؛ ولهذا سيستمر الصّراع ما دام الإحساس بالخوف مستمرا.

وعليه: فإن انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان بلا قيد ولا شرط هو نتيجة الخوف. وفي المقابل يعيش العرب حالة من الخوف نتيجة الاختراقات الأمنية والجرائم البشعة التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي في فلسطين، وهكذا الحال بالنسبة إلى الإسرائيليين الذين هم في حالة رعب من أطفال ثورة الحجارة، والكل يحس بأنّه في حياة غير آمنة.

ولأنّ العولمة تستوجب قبول الآخر وفقا للضغوط الشديدة التي يمارسها القطيع الإلكتروني فإنّ الطرفين العرب والإسرائيليين بالرغم من عدم توافر الثّقة بينهما أصبحا يجلسان على طاولة التنسيق (طاولة التفاوض).

2 . المصلحة:

تستوجب المصلحة التي تُرتِب على الفرد مسؤولية ألا يُضحّي بالمصير وألّا يدخل الصّراع المؤدّي إلى الخسارة؛ ولأجل ذلك يحدث التنسيق أمام كل الاعتبارات التي قد تؤدّي إلى المخاطرة، فمن أجل المصلحة العامّة يحدث الصّراع بين الحين والآخر كما هو حال الصّراع بين البلدين الجارتين الهند وباكستان على إقليم كشمير في المنطقة الحدودية المتصارع عليها، وفي ذات الوقت، من أجل المصلحة العامّة يحدث التنسيق بين البلدين حتى لا تتطور الأحداث إلى ما لا يحمد عقباه وبخاصّة أنّ الدولتين يمتلكان السّلاح النووي. وعليه، في بعض الأحيان يُعد الصّراع ضروريا من أجل المصلحة كما يُعد التنسيق هو الآخر ضرورة من أجلها.

في الماضي كان التمسك بالقيم المعنوية كبيرا جدا، أمّا اليوم فلا يعد ذا أهمية كبرى، بل وصل الحال في أفكار بعض المنظرين للعولمة أنّ التمسك بالقيم الوطنية والدينية يُعد عائقا ينبغي التحرر منه. وتعد المصلحة اليوم من أفضل

المتغيرات الرئيسة لربط العلاقات بين الأنا والآخر. ولكن هناك فرق كبير بين الزّمن الذي تستمر فيه العلاقات المبنية على القيم المعنوية، والعلاقات التي تبنى على القيم المادّية المصلحية، فالأولى: تستمر فكريا بزمن الاعتقاد، والثانية: تنتهي بانتهاء زمن المصلحة الذي قد ينتكس الأمر من بعده إلى صراع شديد وبخاصّة إذا اختلفت المصالح. وهذا ما نتوقعه أن يحدث لدور الولايات المتحدة الأمريكية الذي سيتغير وفقا للمصلحة من داعم لإسرائيل إلى داعم للعرب، والمسألة في البداية قد تكون غير مستساغة التصديق بالنسبة للعقل العربي؛ إلا إنّها من وجهة نظرنا ستحدث، ولا غرابة في ذلك، فالعرب استقروا في الأندلس 850 عاما تقريبا وخرجوا منها كأنّهم لم يدخلوها إلا سياحة؛ ولذا من يُريد أن يحلل ويُفسّر بموضوعية عليه بقراءة التاريخ ومقارنة ستين عاما من عمر دولة إسرائيل في فلسطين، والثمانية قرون من عمر العرب في الأندلس، وعليه أن يعرف أنّ جسم الإنسان بطبيعته سيرفض الغريب عنه عاجلا أم آجلا مهما استخدمت من قوّة لفرضه بلا إرادة؛ ولهذا وجب على العرب وإسرائيل أن يجلسا في منطقة الاعتدال.

ولأنّ الدور بطبيعة الحال هو في حالة تغير فلا ينبغي الاستغراب فيما قد يحدث، كلّ شيء ممكن، ولا شيء في السياسة مستحيل، ولا مطلق إلا من عند الله تعالى. وعليه فتخلي أمريكا عن إسرائيل أمر ممكن، فهذا لا يمس الكرامة الأمريكية ولا الدين الأمريكي لا من قريب ولا من بعيد، فالدين اليهودي لبني إسرائيل وليس للشعب الأمريكي. وفي ذات الوقت إذا أصبحت مواقف أمريكا مع إسرائيل تشكل خطرا على مصالحها مع العرب التي تزداد يوما بعد يوم فإنّ الموازين ستتغير إثباتا.

وهكذا بتغيّر المصالح ستتغير المواقف والأدوار، فعندما كانت مصالح أمريكا مرتبطة بدولة إسرائيل المحتلة لفلسطين كانت مواقف أمريكا منحازة معها، وبعد أن تتغير مصلحة أمريكا إلى العرب بالتأكيد ستتغير موازين القوّة إلى كفّة العرب الراجحة.

وأعتقد أنّ الإسرائيليين يعرفون أنّ الأمر في طريقه إلى التغيّر، وبالتالي بدأت سياساتهم تتغير تجاه تقبّل الآخر واستبصاره، فبدأت كفّة سياسات الترغيب تتأرجح مع كفّة سياسات الترهيب، وكفّة مدّ اليد تتأرجح مع كفة مدّ العصا، وبدلا من الجفاء بدأت تؤسّس الشركات المشتركة بين بعض العرب وبعض الإسرائيليين. وهكذا سيتطوّر الحال إلى أن يصل بإسرائيل أن تصبح المتحدثة عن صنع السّلام.

3 . الطَّمع:

إنّه إحساس الفرد بوجود منافع عند الآخر تجعله في حالة ترجٍّ وتوسُّل، مع إعطاء تنازلات تجاهه. وكذلك نظرة الأقوى تجاه ما يمتلكه الأضعف تجعله هو الآخر في حالة مناورة على المنفعة التي يمتلكها ولم يعرف أهميتها بعد، أو لأنّه لم يمتلك التقنية التي تُمكّنه من الاستفادة منها، أو لمجرد الموقع الجغرافي الذي يعيش عليه، كل هذه تولِّد شعور الطمع تجاه الآخر. وعندما يحس الطرفان بالخطر على الذات، أو على الثروة أو على الموقع السياسي والجغرافي وهما لا يقدران على المغالبة، حينها يكون التنسيق الذي يُمكنهما من البقاء إلى أن ينتهي الطمع. وهذا ما نلاحظه اليوم يجري على بقاع كثيرة من العالم سواء بنظرات الفقراء والمتخلفين تقنيا تجاه الدّول المتقدمة أو بنظرة تلك الدول المتقدمة تقنيا تجاه بقاع أو ثروات الدّول النامية. وخير مثال على ذلك سياسة أمريكا تجاه منطقة الخليج

العربي، وسياسة فرنسا في أفريقيا، والمنافسة التي تجري بينهما وبين الدّول الصناعية الأخرى تجاه بلدان المجتمعات النامية وثرواتها كلها نتاج للطمع الذي ينبغي أن يحرّر منه السُّلوك البشري. وحتى لا تجتاز إحدى هذه الدول القوية الخط الأحمر يحدث التنسيق بينها خوفا وطمعا.

وعليه: إنَّ الأنا والآخر دائما قوّة متى ما جلسا في منطقة الاعتدال حيادا عن الطمع، وكلّما تمكّن الأنا من تحسيس الآخر بأنّه قوّة في رأيه ومعتقده ورغباته وإمكاناته أحرز التقدير منه، وفي المقابل كلّما غيّبه أو همّشه اتسعت الهوة بينهما عداء وكيدا ومكرا.

ولهذا فإنَّ تفطين أفراد المجتمع من الغفلة وتوجيههم إلى العمل المنتج يُمكِّنهم من إحراز التقدير وتبادل الاحترام مع الآخرين. وكذلك تنبيه مؤسسات المجتمع ومجالسه وهيئاته وجمعياته إلى أهمية مشاركة أفراد المجتمع القادرين على أداء المهام التي تناط بهم في تحقيق التقدم والتطوّر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنفسي والذوقي والثقافي يمكّنهم من إحراز التقدير.

كل إنسان يسعى لإحراز التقدير:

ولأنّ كل إنسان يسعى لإحراز التقدير. إذن من لا يسعى إلى إحرازه تكاد أن تنعدم الإنسانية فيه. ومن تنعدم الإنسانية فيه، لا يستحقّ التقدير.

ولهذا فالقاعدة الإنسانية والأخلاقية:

إحراز التقدير.

والاستثناء:

فقدان التقدير.

ولأنّ القاعدة الأخلاقية تستوجب من الإنسان أن يسعى إلى إحراز التقدير، إذن: فعلى الأنا والآخر أن يعملا على هذه القاعدة وألّا يغفلا عنها عندما يلتقيان في مناطق الاعتدال.

وعليه:

. أسع إلى إحراز التقدير تقدّر.

. اعمل على تحصله بالحُجّة.

. اكتسب المهارات المتنوّعة التي تُمكّنك من المنافسة حتى تُقدّر.

. قدّر الآخرين تحرز التقدير منهم.

ولأنّ الإنسان إمكانات هائلة ومتعدّدة. فلِم لا يُمكّن من أداء المهام وفقا لإمكاناته حتى يتفوق وينتج ويبدع في مجالات اهتمامه ورغباته. فالإنسان كمفردة بشرية يمكن أن يكون شاعرا، وفي الوقت ذاته يمكن أن يكون مهندسا أو طبيبا، وكذلك رياضيا، أو رسّاما أو نجّارا. ولأنّ الإنسان إمكانات متعددة، فهو قوّة لا يستهان بها؛ ولذا ينبغي أن تُوجه إمكانات الإنسان سواء أكان فردا أم جماعة أم مجتمعا إلى ما يجب؛ حتى يستفاد منه اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ومن ثمّ يحرز التقدير.

إذن:

اكتشف إمكاناتك لتتمكّن من إحراز التقدير.

. اظهر إمكاناتك؛ لتنال الاحترام.

. طوّر من إمكاناتك؛ لتحدث النقلة.

. استثمر إمكاناتك؛ لتصنع مستقبلا.

. وجّه إمكاناتك؛ لتُبدع وتتطوّر.

ولأنّ الإمكانات في بعض الأحيان كامنة، فهي إن لم تستفز قد لا تظهر إلى حيّز الوجود، وإذا لم تستثمر قد تؤدّي إلى انحرافات سلبية ليست هيّنة؛ لذا معظم الشباب هم في حاجة ماسّة لمن يساعدهم على إخراج إمكاناتهم وتوجيهها وتهذيبها؛ ولهذا فعلى الأنا والآخر ألّا يغفلا عن أهمية ذلك إن أرادا إحراز التقدير اجتماعيًا أو وطنيًا.

ومن ثمّ فمن يرغب إحراز التقدير فعليه أنْ:

. يكتشف إمكاناته ويستخدمها بثقة.

. يكتشف قدراته ويستثمرها بيسر.

. يكتشف طاقاته وينمّها إلى أقصى حد.

. يكتشف استعداداته ويهيئها للإقدام على ما يجب ارتقاء.

. يمنح نفسه فرصة التعرُّف على تجارب الآخرين.

. يتعلّم وينوّع معارفه وفقا لحاجة السّوق.

. يحترم الآخرين مثلما يرغب أن يحترموه.

. يتقبّل الآخرين كما هم من أجل مستقبل مشترك فيه تُصحّح المعلومة الخاطئة بالمعلومة الصّائبة.

. يتطلّع إلى كلّ مفيد ونافع دون غفلة، ودون أن يكون على حساب القيم والفضائل التي بها يحرز التقدير.

. يتذكّر الماضي وما فيه من تاريخ مفيد، وأن يتدبّر أمره بما يفيد، وأن يفكّر فيما يفيد ويحدث النُقلة والفوز بالمأمول.

ولأنّ الإنسان قوّة، والتاريخ قوّة؛ لذا فإنّ الإنسان عبر الزّمن يضيف إلى قوّته المزيد من القوّة من أجل أن يحرز التقدير؛ ولذلك لا تستغرب.

ولأنّ الإنسان قوّة، من مجموع مكوّناته، فإنّ فقدان حاسّة من حواسّه لا يعني إنّه ضعيف وفقد القوّة، بل في حقيقة الأمر فقد شيئا بسيطا من مجموع إمكانات القوّة؛ ولهذا عليه أن يستثمر باقي قواه ويعمل على تنميتها تحديا للضعف؛ فيحرز التقدير ويكتسب قوّة لم تكن في الحسبان.

إذن: من لا يستمر في العطاء هو في حاجة لمن يساعده على اكتشاف الإمكانات ليعرف أنّها مستمرة، وبالرغم من تغيُّر الزّمن والعمر فإنّ الإنسان قوّة إلى أن يموت من حيث الآتي:

قوّة في ملكاته العقلية.

قوّة في حواسه.

قوّة في احتوائه للتاريخ، وصناعته له.

قوّة في استطاعته.

قوّة في تحمُّله.

قوّة في قراراته.

قوّة في استقرائه واستنباطه واستنتاجه.

قوّة في خبراته ومهاراته ومعارفه.

قوّة في تطلّعه وآماله.

قوّة في حكمته.

قوّة في صبره.

قوّة في حجّته.

قوّة في عفوه وتسامحه.

قوّة في هيبته وقدوته.

إذن: من يفتقد هذه العناصر هو في حاجة للمساعدة، والمساعدة الرئيسة التي يحتاجها الإنسان مهما طال به العمر تتمثل في المساعدة الهادفة التي تُمكّنه من اكتشاف القوّة في نفسه؛ ولهذا فالعجزة وكبار السّن في حاجة للمساعدة التي تُمكّنهم من معرفة قواهم التي تجعلهم قادرين على المشاركة.

ولذا؛ فمن الممكن استثمار الجزء من الكل، فالإنسان قوّة متكاملة ولكن في حالة عطل أيٍّ جزء منها فالمتبقي قوّة بالرغم ممّا يتركه الزّمن من أثر.

وعليه:

اعرف أنّك قوّة.

لا تغفل عن مكامن قوّتك.

هيئها لكل حين.

ادعم مواطن القوّة فيك.

عالج نقاط ضعفك.

اكتشف مواطن قوّتك.

ابحث عن أساليب جديدة لاستخدامها.

اجمع نقاط القوّة حتى تزداد قوّة.

ولأنّ الإنسان يسعى لإحراز التقدير، إذن: لديه من الطموحات التي يعمل على إنجازها، ولهذا كلّما أنجز طموحا أو أملا، أحرز التقدير من الآخرين الذين يعترفون له بالقوّة العقلية أو العلمية أو المهارية أو الحرفية أو المهنية التي تَمكَّن من خلالها من الإبداع وتحقيق الفوز. هذا وقد يحرز الإنسان التقدير بما يمتلئ به من أخلاق وقيم وفضائل مُقدَّرة من قبل أعراف المجتمع ومعتقداته الدينية التي تُشكل إطاره المرجعي.

ولهذا؛ يتمّ إحراز التقدير بالآتي:

. بذل الجهود المثمرة.

. الأخلاق الحميدة.

. السُّلوك الاحترامي.

. الإبداع واكتشاف الجديد المفيد.

. استيعاب الآخر والاعتراف به.

. الدفاع عن قضايا المظلومين أو مساندتهم.

. التفوق العلمي والفني والرياضي.

. القدوة الحسنة.

وعليه:

. تعلّم تحرز التقدير.

. تفوّق تحرز التقدير.

. اعمل تحرز التقدير.

. أنجز المهام المناطة بك بنجاح تحرز التقدير.

. افعل خيرًا تحرز التقدير.

. تحدّى الصِّعاب تحرز التقدير.

. استوعب الآخرين تحرز التقدير.

. قُل الحقّ تحرز التقدير.

. احكم بالعدل تحرز التقدير.

لا تقدير إلّا بأفعال تستوجب التقدير:

بما أنّه لا تقدير إلا بأفعال تستوجب التقدير، إذن: التقدير يترتّب على أفعال مقدّرة من الآخر الذي يعترف بالجميل وأثره ويعترف بردّه لمن قدّمه له؛ ولهذا الأفعال الخيرة تحدث أولا ثمّ يأتي إحراز التقدير لاحقا عليها.

ولأنّ التقدير يُحفِّز على الاستمرار في العطاء.

لذا فإنّ إحرازه يرتبط بالتاريخ وصناعته.

فعلى سبيل المثال:

. عمر المختار شخصية مقدّرة.

. عبد القادر الجزائري شخصية مقدّرة.

. نيلسون مانديلا شخصية مُقدّرة.

. والمهاتما غاندي شخصية مُقدّرة.

فهؤلاء جميعهم اشتركوا في صناعة التاريخ، الحديث وأحرزوا التقدير؛ ولهذا فالتقدير لا يجعل الإنسان مُهمشا، بل الذي يجعله مهمَّشا هو عدم حصوله على التقدير.

وعليه: إحراز التقدير مبدأ أخلاقي في مقابل مطلب نتيجة دور أو مسؤولية أو اتخاذ موقف يستوجب التقدير، والتقدير هنا ليس المادّة، بل القيمة المعنوية التي بها تعظّم المواقف، ويقدروا أصحابها؛ ولهذا فالنّاس يختلفون بين مقدّرٍ ومقدَّر، ومن هنا؛ يعدّ التقدير منبعا من منابع بلوغ الأمل؛ إذ الجميع يرغبه ويأمل إحرازه.

ولذا؛ فأمر الاختلاف والخلاف بين النّاس يتعلّق بالخُلق والمعرفة معا، وهذه لم تكن لدى الكائنات الأخرى؛ ولهذا تنمو الاختلافات بين النّاس من أجل الأفضل، وتشتدّ الخلافات بينهم بما يتمكّنون منه تذكّرا، وتدبّرا وتفكّرا؛ وذلك من أجل الأهم والأعظم.

ولذا، لا يحرز التقدير إلّا عاقل يميّز بين ما يجب، وما لا يجب، وعندما يميّز بينهما، يستطيع أن يَقدم على ما يجب، ويستطيع أن يتجنّب ما لا يجب. وهنا يكمن الاختلاف والخلاف كما يكمن التقدير.

فالعاقل بسداد رأيه، وحكمته، وحُسن أدائه، واستنارة علمه ومعارفه، يستطيع إحراز التقدير من الآخرين إرادة، وهكذا من يقدّر النّاس يقدّر، ومن لم يُقدِّرهم لا يقدّر، وكلّما سادت قيمة التقدير بين النّاس أفرادا وجماعات ومجتمعات امتدّت بينهم جسور المودّة، والاحترام، والتعاون والتفاهم، والتفهُّم.

وعندما يسعى الإنسان تجاه الآخرين لإحراز التقدير بما يقدم عليه من عملٍ رفيع، أو بما يقدم عليه من أداء واجبات بتفوّق، ولم ينل مسعاه، ستكون ردود أفعاله تجاه المجتمع سالبة (انطواءً، أو انسحابا، أو أنانية)، ولهذا؛ كلّ شيء يؤسّس على الإرادة، تكون نتائجه مرضية لفاعله، حتى ولو كانت نتائجه سلبية، ممّا يجعل المفسد، يُفسد في الأرض إرادة، بأسباب ردود أفعال عدم تقدير ما أقدم عليه، أو عدم تقدير ما قام به من عملٍ يختلف أو يخالف ما قام به الآخرون من أعمال، ولكن عندما يبلغ الحال إلى هذا المستوى الذي لا يُميّز فيه المِجدّ من المهمل، والمصلح من المفسد، تصبح صفة الإفساد هي السائدة، فتسوء الأحوال بين الأفراد والجماعات، كما تسوء مؤسّسات الدّولة أيضا؛ فتنقلب الأحوال فيها من الجدّ إلى التسيب، ومن الاهتمام إلى الإهمال، ومن التقدّم إلى التخلّف، ومن الموضوعية إلى الأنانية.

ولكن عندما يصل الأمر إلى هذا المستوى ويعمّ الألم، تنتفض الشّعوب من آلامها وأوجاعها؛ فتثور على ما ألمّ بها من آلام من أجل أن تنهض، وتتغيّر أحوالها، وتبلغ غاياتها، وهكذا هي سُنن الحياة تتبدّل ومنابع الأمل لا تنضب.

ولأنّ التقدير قيمة حميدة؛ فيسعى العاقل المدرك إلى إحرازه من العقلاء، ومن أجل إحرازه يدرك أنّ الموت ثمن في سبيل تحقيقه يُمكّن من بلوغ الحياة مرّتين:

المرّة الأولى: أن يكون قبول الموت ليس تهلكة، ولكن من أجل أن يصبح التقدير سائدا بين النّاس من بعده درسا، وعبرة لمن أراد أن يكون مقدّرا في شخصه، أو عمله، أو أن يكون مقدّرا في جهاده واستشهاده.

المرة الثانية: أن يكون الموت في سبيل الله كما هو الحال عند المسلمين من أجل الفوز بالحياة الباقية في دار الخلود.

ولذلك؛ يتحوّل الموت إلى قيمة عالية تنال التقدير، وبخاصّة عندما يكون الموت عملا يرجو من ورائه الإصلاح، أو تحرير الوطن، أو صدّ خطر يحاك ضدّه، أو ضدّ الشّرف، أو الدّين، أو القيم الحميدة والفضائل الخيِّرة؛ ولهذا دائما الشهداء مكرّمون.

وعليه: إنَّ الموت (السّلبي) – الذي هو فرار من الموت (الإيجابي)– هو موت بلا ثمن؛ فمن أقدم عليه ضلّ؛ ذلك لأنَّه لم يكن قيمة حميدة، ولا يُحقِّق تقديرا.

ومن هنا فإحراز التقدير لا يكون إلّا بما يُبذل من جهد جاد ومتميّز تجاه الأنا والآخر؛ فالآخرون عندما يلاحظون ما يبذله الإنسان من جهد في سبيل الرّقي الأخلاقي، أو الرّقي العلمي والمعرفي، أو في سبيل زيادة الإنتاج، والإصلاح، والإعمار، والبناء بشكلٍ عام، يقدّرونه تقديرا عاليا، وفي مقابل ذلك لا يقدّرون الضّالين، ولا المجرمين، ولا المتكبّرين، الذين يفسدون في الأرض.

ومن ثمّ؛ فإنَّ تعظيم قيمة التقدير منبع الأمل لا يكون إلّا بإظهار كلّ ما من شأنه أن يُفخّم تلك المعاني المكوّنة للقدوة الحسنة، حتى يصبح المدرس قدوة حسنة، والطبيب قدوة حسنة، ويصبح الأب قدوة حسنة، وكذلك تصبح

الأم قدوة حسنة، ويصبح المسئول خير قدوة في الأمانة والنزاهة والحرص على الوحدة الوطنية، وسلامة تراب الوطن، وأمن شعبه، ورأس ماله الدّيني والاقتصادي والثقافي والحضاري.

ولأنَّ إحراز التقدير قيمة مأمولة من قِبل الجميع؛ فيجب أن يفخّم ويعظّم حتى يحفّز الجميع على أداء كلّ ما من شأنه أن يمكّنهم من إحرازه، وبتفخيم قيمة التقدير تتماسك عُرى المحبّة والمودّة بين أبناء الشّعب الواحد، وتقوى حتى ترتقي بأصحابها إلى مقامات الرّفعة المأمولة.

فالتقدير قيمة حميدة، تربط الجهد بالإنتاج؛ ممّا يجعل التسابق على إحراز التقدير بكلِّ قوّة، مع المحافظة على المسافة التي تسمح للآخرين بالحركة في ذات الاتجاه، ودون أيّة عرقلة مقصودة، وبهذا؛ تتميّز كلّ خصوصية بما تمتاز به عن خصوصيات الآخرين، وفي مقابل ذلك لا يمكن أن تسود قيمة التقدير بين النَّاس إنْ لم يمارسونه من حرّية.

ولهذا؛ فمبدأ إحراز التقدير مطلب يشبع رغبة، تستوجب من راغبٍ في إحرازه أن يستشعر بتماثل حاجات الآخرين مع حاجاته ورغباته، وعندما يصل (الأنا والآخر) إلى هذا المستوى من التقدير، يتمكّنان من العيش ومعا، ومن ثمّ، ينال كلّ منهما مكانة عند الآخر، ممّا يجعلهما يشعران بحاجتهما للبعض؛ فكلّ منهما على درجة من الأهمية التي لا ينبغي أن يُستهان بها، أو يُغفل عنها.

والتقدير قيمة حميدة تُميِّز من يجب أن يُميَّز بما عليه من مكارم أخلاق وقدرات ومواهب، ممّا يجعل لكلّ خصوصيّة خاصيّة تستوجب التقدير والاحترام والاعتراف. ومع ذلك نجد لكلّ قاعدة شواذ، وأكبر الشاذّين الجاحدين، وأكبر الجاحدين الذين يعرفون الحقّ وينكرونه، ثمّ يلبسونه باطلا.

وعليه، تتعدّد الأدوار، والأذواق، وتختلف، وتتنوّع من مجتمع لآخر، باختلاف المعتقدات والأعراف، وفي مجملها تتكامل وتتمّم بعضها البعض بمختلف أساليب إشباعها، وهذا التنوّع والتعدّد في الحاجات يجعل الأنا والآخر في مستويات غير متساوية إذا لم تُقدّر هذه الحاجات ومشبعاتها من الطّرفين المختلفين.

مبدأ

تفخيم الكرامة

الكرامة قيمة للاستشعار بالشّرف الذي إذا مُسّ بسالبٍ ساد الألم ضمير الإنسان الذي تتجسّد في نفسه قيمة الكرامة؛ ولهذا فإنّ تفخيمها سلوكا بين النّاس مبدأ. وبهذا المعنى يصبح الإنسان قيمة في ذاته، وذلك بتفخيم قيمة الكرامة في شخصه عِبرًا ومواعظًا وشرفا وفضائلا خيّرة.

فالكرامة قيمة ذاتية تأصيلية تربط الإنسان بالتاريخ، والفضائل الاجتماعية والإنسانية حتى يصبح الشّرف والوطن والأمّة والدّين من المكونات الرئيسة لذات الفرد، الذي إذا تخّمت في نفسه قيمة الكرامة يقبل أن يموت أو يستشهد في سبيلها.

فتفخيم الكرامة يجعل من الإنسان شخصية مقدّرة، وله من الاحترام والاعتبار ما يجعله شخصية مهابة؛ ولهذا تعد آراؤه وحكمه وجهوده وتجربته وخبرته مرجعية دون أيّ تمييزٍ لدينٍ أو عرقٍ أو ثقافةٍ.

ويحتوي مبدأ (تفخيم الكرامة) على أنّ الثّقة في الإنسان خَلقًا وخُلقًا ينالها بالاحترام والأخذ بالتعاليم المستمدّة من الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ومن هنا يصبح الإنسان قيمة في ذاته يحترم رأيه ودينه وجنسه ونوعه ولونه وهويّته.

ولهذا؛ ينبغي أن يتمّ تقدير الأفراد والجماعات بما يليق بتفخيم الكرامة الإنسانية، وتجنّب معاملتهم وكأنّهم مجرّد أرقام في أحد سجلات إثبات القيد الوطني.

وبما أنّ تفخيم كرامة الإنسان مبدأ، فتفخيمها لا يكون إلّا قولا وفعلا وعملا وسلوكا؛ ولهذا وجب اعتبار الآخر وتقدير دوره وما يبذله من جهد في سبيل استقرار الأمن والارتقاء بالوطن والحفاظ على شرفه وشرف الآخرين وعلى جميع المستويات في دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) سواء أكانت موضوعية، أم تطلعية، أم ذاتية، أم انسحابية، أم أنانية.

ولذا؛ فإنّ الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانية ينبغي تفخيمها بما يحافظ ويعظّم قيمة الإنسان أينما كان؛ ذلك لأنّ تفخيم الكرامة يمكّن من الحفاظ على التاريخ والحضارات والثقافات المتنوّعة مع احترام الخصوصيات الاجتماعية والوطنية.

الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانية:

ولأنّ الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانية؛ إذن فتفخيمها واجب لا ينبغي أن يغفل عنه الأنا والآخر؛ ذلك لأنّ تفخيمها تفخيم مكانة، أي: تفخيم مكانة كلّ من الأنا والآخر.

ولهذا؛ عندما تهان كرامة الأفراد، تهان كرامة الشعوب. وهذا يعني أنّ الكرامة مكوّن مجتمعي من القيم المتضمنة في الأعراف والأديان والتقاليد. ولذا كلّما قُدّمت الإهانات لقيمة مجتمعية أثرت سلبا في نفوس الأفراد والجماعات المنتمين للمجتمع. وعليه تكون المواجهة مع من يُقدّم الإهانات للقيم والفضائل الاجتماعية الخاصّة بمجتمع معيّن أو لمن يُقدِّم الإهانات إلى قيم وفضائل إنسانية.

إذن: المجتمع بلا كرامة لا ينال التقدير ولا الاحترام، وهكذا حال الأفراد والجماعات بلا كرامة لن ينال أحد منهم التقدير ولا الاعتبار.

وعليه:

. عش كريما تقدّر.

. عش كريما تنال الاعتراف.

. عش كريما تبادل الاحترام.

. عش كريما تُعتبر.

وفي المقابل من يقبل العيش مهانا لن تكون له كرامة، ومن يقبل أن يعيش مهانا يقبل بإعطاء التنازلات إلى النهاية، ولهذا فالتمسّك بالقيم الإنسانية يكوِّن الضمير الإنساني، والتنازل عنها لا يكون إلّا تنازلا عن المكانة والكرامة.

ومن أجل تفخيم الكرامة:

. مارس حقوقك بتماثل مع الآخر.

. أدي واجباتك بتماثل مع الآخر.

. احمل مسؤولياتك بتماثل مع الآخر.

. تبادل الاعتبار بتماثل مع الآخر.

وبما أنّ الضمير الإنساني استيعابي. إذن غرس القيم والفضائل الإنسانية وجوبي.

ولذا فإنّ غرس القيم والفضائل الاجتماعية ضرورة من أجل تحقيق الكرامة الإنسانية وتفخيمها في نفوس الأفراد والجماعات والمجتمعات أينما كانوا على رقعة المعمورة بأسرها.

وبما أنّ اعتبار الخصوصية يُمكّن من استيعاب الآخر. إذن القاعدة الأخلاقية استيعاب الآخر، والاستثناء إقصاؤه. ولذا؛ فمن يشعر بعدم تقدير خصوصيته، يصاحبه القلق والخوف. وهكذا سيكون الحال عندما يحس بأنَّ الآخر يقلل من شأنه.

وعليه:

تفخيم الكرامة مبدأ يجعل الإنسان على المكانة التي بها يتبوأ مقام الرّفعة المأمولة؛ أي: إنّ الكرامة لا تكون إلّا على الرّفعة، ولا تترسّخ ارتقاء إلّا بها، ومن ثمّ؛ فمن أراد أن يكون له شأن فليعمل على تحقيق المكانة قيما وفضائل، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيما وفضائل؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه ارتقاء مأمولا.

ولكي يبلغ الإنسان مأموله قيما وفضائل؛ فعليه أن يكون قدوة حسنة لبني جنسه، فإذا حكم عدل، وإذا شهد، شهد حقّا، وإذا عاهد أوفى، وإذا قال صدق، وإذا عمل أحسن عمله، وإذا تعلّمَ علّمَ، وإذا اكتال أوفى، وإذا رأى فتنة

بين النّاس أصلح، وإذا غضب تملّك نفسه، وإذا ذُكِر بخيرٍ فعليه بالمزيد، وإذا ذُكر بسوءٍ فليصفح وليعفو.

ولذلك؛ فالتمسّك بالقيم لكونها قيما، لا يفيد، بل المفيد العمل بها قولا وسلوكا؛ ولهذا ينبغي أن يتشرّبها النشء تربية وتعلّما وتعليما حتّى يجسدوها سلوكا كما جسدها أهل المكانة والكرامة.

فأهل الكرامة دائما في علوٍ قيمي قولا وسلوكا؛ علوٍ عن الرّذيلة وما يؤدّي إلى ارتكاب أفعالها وأعمالها التي ترفضها القيم الحميدة والفضائل الخيّرة.

ولأنَّ الكرامة تعظيم شأن؛ فهي التي تجعل أهلها مسؤولين وكراما أمناء، وفي المقابل من لا يكون عليها قيما وفضائل لا يكون إلّا في دونية وسُفلية؛ ولهذا فإنَّ أوطان المتخلّفين تتخلّف بأسبابهم حيث لا مسؤولية ولا أمانة لديهم ولا إخلاص للوطن ولا كبرياء لهم عن النّواقص والرّذائل والمفاسد وما يُعيب وما يشين.

ولأنَّ الكرامة تفخيم شأن؛ فهي التي بها يتمّ بلوغ المنزلة العالية والمكانة الرّفيعة، في مقابل آخرين لا ينزلون إلّا الأماكن الدّونية التي لا تليق بأصحاب مكارم الأخلاق.

ومن بلغ المكانة العالية بلغ الرّفعة التي يأملها من خُلق في أحسن تقويم ولم يخالف، ومن بلغ المكانة عملا وسلوكا نال الاحترام والتقدير والاعتبار من قِبل الغير، ولهذا فالكرامة قيمة تعظيم بما هو عظيم، ورفعة قدرٍ بما هو رفيع، فأهل الكرامة يتّعظون بما هو عظيم ويأخذون العبر من كلّ عبرة ومعتبر.

ولذا؛ فأهل الكرامة أهل مكانة لهم من الكبرياء ما لهم، فهم يتكبّرون عن كلّ ما من شأنه أن يسيء للقيم والأخلاق والأعمال والأقوال، فالكبرياء تعالٍ عن كلِّ ما يؤدّي إلى الفتنة، أو يسيء للنّاس، ممّا يجعل الكبرياء هو المحقّق للكرامة المقدّرة والمعتبرة، ويجعل لصاحبها شأنا بما اختار أن يكون عليه بذوقٍ رفيع.

وعلينا أن نميّز بين قيمة التكبُّر والاستكبار؛ فالتكبّر قيمة حميدة لتعظيم الشأن بعدم النزول في منازل السّافلين، كالتكبّر عن القول الزّور وعن أيِّ نعوت لا حقائق تسندها، وهو التكبُّر عن الأفعال التي لا تليق بمكارم الأخلاق، وهو الإخلاص في العمل مع وافر الأمانة، وهو السّلوك المثال الذي لا يقدر عليه إلّا من له مكانة مقدّرة. أمَّا الاستكبار فهو الاستعلاء عن الحقيقة والجحود لمبرراتها ومعطياتها وهو معاندة بدون حُجّة دامغة؛ فالمستكبر يقف على الحقيقة ويغض النّظر عنها، بعدم اعترافه بأنّها الحقّ، مع العلم أنَّ هذا الأمر لا يُنقِص من شأن الحقيقة، بل يُنقص من شأن المستكبر عليها بغير حقٍّ.

وهذا يعني أن للتكبّر صفتين:

الصفة الأولى: هي التكبُّر بالحقّ عن المظالم وعن الأعمال الوضيعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، وهذه من صفات الذين يقولون الحقّ ويعملون على إحقاقه، أي: إنَّهم الذين يتعالون عن المكر والكيد وسفك الدّماء في الأرض بغير حقّ وإن حكموا بين النَّاس حكموا بالعدل، وإن قالوا صدقوا، وإن عملوا أصلحوا وإن عاهدوا أوفوا.

الصفة الثانية: التكبُّر عن الحقّ، بالحياد عنه والميل كلّ الميل إلى ما يؤدّي إلى إخفائه ومغالبته بالباطل، والمتكبّرون عن الحقّ هم الذين يقومون بأعمال

الوضاعة التي تقلّل من شأن مرتكبيها، بما يقدمون عليه من أفعال لا تُرضي النَّاس، وهؤلاء هم الذين إن قالوا كذبوا، وإن عملوا أفسدوا، وإن عاهدوا أخلّوا ونقضوا.

وعليه: فإنَّ للتكبّر مبرراته؛ لكونه قيمة حميدة، ولا مبرّرات له إلّا أن يكون قيمة حميدة؛ ولهذا تُحرّف القيم وتقوّض من قِبل أولئك الذين ضلُّوا فأفسدوا فظلموا فطغوا وتكبّروا كما طغى وتكبّر من قبلهم المتكبّرون بغير حقّ، ولكن دائما التَّاريخ يمدّ بالعبر فمن أراد أن يعتبر فعليه بالتَّاريخ لأخذ العبر منه، ومن لم يرغب في ذلك فالحاضر يكفيه درسا حيّا.

ولذا؛ فالمفسدون هم الذين يتكبَّرون عن الإصلاح، أمَّا المصلحون أهل المكانة والكرامة فهم الذين يتكبَّرون بفعله، {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[25]. إنَّ استكبار إبليس كان استكبارا عن الحقّ، أمَّا تكبُّر الملائكة فكان تكبرا بالحقّ، وهنا فالسّجود يدلُّ ويُعبِّرَ عن الطَّاعة وبلوغ المكانة الرّفيعة التي تُؤمل من أهل الكرامة التي ينبغي أن ترسّخ بين الأنا والآخر مبدأ ثابتا في المعرفة والسّلوك والفعل.

ولهذا؛ فالمتكبّر بظلمٍ هو الذي يعرف الحقيقة ويأبى إظهارها، ولا يأخذ بها، أمَّا المتكبّر بالحقِّ فإن دعي لنقيصة تكبَّر عنها، وإن دعاه سائل استجاب وفق استطاعته، وإن لم يستطع فلا ينهر، ولذا فالتكبّر صفة محتملة للإيجاب والسّلب؛ فتكبُّر العبد عن ارتكاب المظالم وارتكاب المعاصي قيمة إيجابية، وفي المقابل ارتكابه للأفعال الذميمة والمفسدة في الأرض قيمة سلبية، ذلك لأنَّ الكرامة لا تكون إلّا نقاء وصفاء مع الأنا الذي فيه كبرياء المخلوق ورفعة مكانته وكرامته،

[25] البقرة، 34.

وكرامة الذَّات التي فيها كبرياء المجتمع، وكبرياء الضّمير الذي فيه تُقدَّر الإنسانية، ولذا ينبغي للإنسان أن يتكبّر عن:

الجهل:

فالجهل أساس كلّ داء يصيب المجتمع الإنساني تخلّفا؛ لأنَّ الجهل من شأنه أن يؤدّي بالإنسان إلى الانحطاط في أماكن الرّذيلة والمفاسد، والذين يتمسّكون بالجهل بأسبابه؛ فهم في حاجة لمنقذ يخرجهم من ظلماته إلى نور الإيمان والعلم والمعرفة التي بها يرشدون.

ولأنَّ الصّراع من البدء الخلقي هو صراع بين جهل وعلم (شرّ وخير)؛ لذا فبالعلم تتحسّن الأحوال وبالجهل تسوء، ولأنَّها كذلك فالصّراع بين الخير والشرّ لم يحسم أمره بعد؛ فهو باقٍ ما بقي الجهل في مضادة العلم؛ ولهذا فالذين يجهلون حقيقة أنّ استقرار أمن الوطن يكمُن في حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليّات يتمّ حملها، فهم لن يناموا ساعة واحدة نوما هادئا وهنيئا، والذين يعلمون حقيقة ذلك ينامون في أوطانهم نوما آمنا هنيئا بمشاركة النَّاس فرحتهم بالممارسة الفعلية للحقوق والواجبات والمسؤوليّات؛ مع توسيع دوائر المراقبة والمحاسبة والمساءلة للجميع حيث لا قمّة سلطانية إلّا من الشّعب، ممّا جعل الحكّام في دول ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي يختارون عن إرادة لفترة محدّدة دستورا، وهم بذلك يقبلون، ولا يتجاوزون قرارات الشعب ودستوره قمّة. ولهذا لا وجود للمؤامرات ولا الانقلابات ولا المظالم التي تدور رحاها في أوطان التكميم.

الشهوات:

إنَّها الشّهوات التي خلقها الله تعالى فينا، ولكنّ البعض لم يحسن فهمها وتهذيبها وضبطها والسّيطرة عليها، ممّا جعلها هي المسيطرة والقائدة للباطل والمفاسد، قال تعالى: {زُيِّنَ للنَّاس حبّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}26؛ فالشّهوات متوافرة في الحياة الدّنيا، ولكنّ البشر تفاوتوا في التعلّق بها، فمنهم من اشترى الحياة الدّنيا بما تحويه من هذه الشّهوات، ومنهم من اشترى الآخرة بما فيها من خير عظيم وفوزٍ دائم، ولأنَّ الإنسان خلق ليكون إنسانا بحقّ في هذه الحياة الدّنيا، فلا ينبغي أن يقصر شهواته على الدّار الآخرة كما لا يقصرها على الدّار الدّنيا، ذلك لأنَّ الخالق خلق الإنسان في أحسن تقويم ليكون وارثا في الدّارين؛ ولهذا لا ينبغي أن ينسى نصيبه من الدّنيا، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتجاوز الحدود القيمية والفضائلية التي أقرَّ لها الخالق حدودا، ليكون فائزا في الدّارين وتكون له كرامة راسخة.

وعليه: نلاحظ عندما تبدأ الدّعايات الانتخابية في أوطان المتقدّمين علمًا وثقافة تُكشف الأوراق من قِبل الجميع حتَّى لا يكون الرّئيس المنتخب متّهما بارتكاب المفاسد الأخلاقيّة والسياسية والاقتصادية؛ ولهذا يكون الاختيار بين الأفضل ومن هو أفضل منه، وبين الأقدر والأكثر مقدرة، أمَّا في بلدان الغير؛ فغير ذلك، الحاكم يورّث حكمه أولا لأبنائه، وإن لم يكن له أبناء فلإخوته، وإن لم يكن له إخوة فالأقربون الأقربون، وهكذا حتَّى بلوغ القبيلة والعصبيّة.

---

[26] آل عمران 14.

إذن: عندما يقبل الإنسان أن تسيّره الرّغبة فبصيرته تعمى وتقوده نحو الانحطاط ولا كرامة، لذلك لابدَّ للإنسان من الترفّع عن هذا الانقياد الأعمى للشّهوات ورفض سيطرتها عليه، وأن يتكبّر عن هذه المفاسد المدمّرة، فبتكبّره الإيجابي هذا سينال المنزلة الرّفيعة والمكانة العالية، وسينال احترام نفسه واحترام النَّاس من حوله؛ فالشهوات عندما تجعل الإنسان عبدا لها لا يملك لنفسه شيئا أمامها سوى الضّعف والوهن والقبول بالانقياد أمام ما يشبع الشّهوة ولو كانت مفاسد بيّنة[27].

ولأنَّ مبدأ ترسيخ الكرامة متعلّق بالرّفعة وتحقيق الأمل؛ فمن يبلغ المكانة والكرامة بلغ الأمل الذي لم يبلغه الغير، ومع ذلك وراء كلّ كرامة مكانة لآمال أرفع.

مبدأ

تعزيز الموضوعية

الموضوعية قيمة أخلاقية أحكامها بلا انحيازات، وموازين عدالتها بلا مظالم، ومضمونها نزاهة المقصد والبعد عن الهوى، والتجرّد من العواطف الشخصانية وسلامة الموضوع الذي اصطبغت بصفته. ومن ثمّ فالموضوعية اعتدال في الفكرة والقول والفعل والسُّلوك، لا انحياز لغير الحقّ في مكوّناتها المنطقية، وهي التي تعتمد على العقل في التمييز بين ما يجب وما لا يجب. بها تُدرك الأشياء كما هي عليه، ثم تقوَّم إلى ما ينبغي لها أن تكون عليه. وهي الوعي بالحقائق

[27] عقيل حسين عقيل، تقويض القيم من التكميم إلى تفجّر الثورات، ص 60 .66.

بعد إخضاعها للقياس المعياري دون غض النظر عن مكوّناتها ومعطياتها وعلاقتها بما يؤثر سلبا وإيجابا على أطراف الحوار (الأنا والآخر).

إذن: ينبغي أن تعزيز الموضوعية بغاية تقديم الحقائق هي كما هي لا كما ينبغي لها أن تكون عليه إرضاء للأنا على حساب الآخر؛ ولهذا في الموضوعية تكمن الحقيقة التي تهدف إلى كشف الزيف عن المعلومة التي يجب أن تقدم كما هي لا كما يود لها أن تكون.

ولذا؛ تُعد الموضوعية مكوّنا قيميّا استيعابيا تندمج فيها المعارف الإنسانية والعلوم والثقافات التي تحتوي الأنا وتستوعب الآخر، وتنتج أفعالا وسلوكيات تؤدّىَ من قِبل الجميع بإرادة، وتكوّن منظومة قيميّة ذات أبعاد ومرامي إنسانية خالية من التعصِب والتحيّز.

وتتمركز الموضوعية على الاستخدام العقلي، الذي به تتجاوز الشخصيّة مرحلة العاطفة والمنطق، ما يجعلها تحتكم بالعقل دون سواه في تناول القضايا والمواضيع بالبحث والدراسة.

وتُقيّم الظروف والمواقف الفردية والجماعية والمجتمعية بموضوعية عندما تتوفر معطياتها واشتراطاتها المبررة لوجودها، ولا تبرر بغير ذلك؛ ولذا فالموضوعية مرحلة وعي متقدّم ينبغي أن تقر على مستوى الثقافة والفكر الإنساني؛ لتصبح الالتزام بالحقائق المجردة قولا وعملا، فلا تميل كل الميل، ولا تصدر الأحكام بلا معلومات ومعارف واضحة، ولهذا فالموضعية ضمير لا يؤلِم ولا يؤلَمْ.

فمبدأ تعزيز الموضوعية مرحلة تيقُّن ومعرفة يتجاوز بها العقل كل مراحل الانحيازيات والميول السالبة التي تحيد أفعالها كثيرا أو قليلا عن الحقيقة، إنّها المبتعدة عن المنقوص والمتمسكة بكل فعل تام.

ومن هنا فالموضوعية حالة مستقلة بذاتها تُقيّم الأمور بنزاهة لا بعاطفة، فهي ليست حالة اعتدال كما هو حال قاطع الذاتية في خماسي تحليل القيم، وهي ليست حالة من حالات التطرف والانسحاب كما هو الحال في قاطعي الأنانية وذاتية تميل إلى الأنانية، إنّها حالة الانسجام والتطابق مع مبررات المواضيع ومعطياتها العلمية.

تتمركز الموضوعية في خماسي تحليل القيم على الآتي:

1 . التجرد من رغبات الأنا وأطماعه ومصالحه الشخصانية.

2 . لا تعترف إلا بما يجب، ولا تؤدّي إلا الأفعال الواجبة السُّلوك.

3 . تُقيّم الأنا والذات والآخر بمنظور قياسي لا بمنظور مزاجي.

4 . السُّلوك والأفعال الحضارية المتماثلة مع الثقافة المستوعبة لكل خصوصية.

5 . الاعتراف بوجوبيّة أخذ الحقوق.

6 . الاعتراف بأحقّية أداء الواجبات.

7 . الاعتراف بأهمية حمْل المسؤوليات.

8 . التقدير لمن يجب ولِمَ يجب.

وعليه: فإنَّ الاطمئنان صفة من صفات الشخصية الموضوعية، المعتمدة على قوّة البصيرة التي تمكّنها من معرفة الحقيقة، وتميّزها عن غيرها من الأنفس قال تعالى: {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}28 فالبصيرة قوّة عقلية واعية يتبيّن من خلالها الإنسان الموضوعي معرفة ما يجب وما لا يجب، وعندما يسلك لا يتردد، وذلك لثقته فيما يفعل أو يسلك عن معرفة صائبة.

إذن: تعزيز الموضوعية هو الإقرار بإعلان الحقيقة بين الأنا والآخر مهما اختلف الزمان والمكان والثقافة أو الدين والعرف، فالحقيقة واحدة سواء أكانت ذات مؤثر سالب أم ذات مؤثر موجب، فالكذب حقيقة والصدق حقيقة، والنفاق والرفض والتمرد حقائق كغيرها من الحقائق، والموضوعية هي قول الحقيقة وفعل الحقيقة، في المنطق الموضوعي ليس عيبا أن يقال للكاذب كاذب، وللسارق سارق وللصادق صادق، بل العيب الّا يقال ذلك حقيقة. هذه هي الموضوعية حقيقة لا تتبدل، ولا تتغيّر مهما تغيّر الزمان والمكان أو تغيّر الأفراد وتبدّلوا نتيجة تعرّضهم إلى مؤثرات ومتغيرات جذابة.

وبما أنّ الحقيقة هي ما صدق على الموضوع، إذن: ليس بالضرورة أن تكون الموضوعية منطقية، وذلك لأنّ معايير الحقيقة ليست هي المعايير المنطقية، فمعايير الحقيقة هي الصدق والثبات، أمّا معايير المنطق فهي الافتراض والتوقّع. فالإنسان وجوده حقيقة موضوعية وليس وجودا متوقعا، وتفكيره منطق، حيث إن التفكير مرتبط أو مترتب على وجود الإنسان باعتباره متميّزا بقدرات العقل المفكّر، والحكم على أنّ الإنسان موجود وأنّه مفكّر هو الحقيقة الموضوعية، ولكن ليس بالضرورة أنّ كل إنسان موجود هو مفكّر، فالبعض من الموجودين هم فاقدو

---

[28] القيامة 14.

حاسة التفكُّر والتذكُّر التي يفترض أنّها خاصية إنسانية، وهذا ما يجعل المنطق ليس بالضرورة أن يكون حقيقة.

ولإزالة اللبس والغموض عن الموضوعية ينبغي أن نفرّق بين التزام الباحث بخطوات البحث العلمي أثناء تقصيه للمعلومات التي تعكس حقيقة الموضوع، وشخصانية الباحث التي لا تعكس حقّيقته (حقيقة الموضوع)؛ ولذلك التزام الباحث المسلم وتحيّزه إلى دينه لا يعد عيبا، بل العيب الّا ينحاز إليه بما أنّه الحقّ من عند الله تعالى، ومن الموضوعية أن يتميّز موضوع الباحث المسلم عندما يكتب عن الدين أو الأعراف أو الشخصية المسلمة وعاداتها عن كتابات ومؤلفات الباحث غير المسلم عندما يكتب عن الموضوع نفسه. ولذا في اعتقادنا عندما يكتب المسلم عن مجتمعه هو أقرب إلى المعلومة الصادقة من الكاتب غير المسلم، وكذلك يكون الكاتب غير المسلم أكثر معرفة بالحقيقة من الكاتب المسلم عندما يتعلق الموضوع بمجتمع الباحث غير المسلم.

وعليه فإنّ قول البعض بأنّ الموضوعية ألّا يدرس الباحث مجتمعه؛ لكي يكون موضوعيا فيما يبحث أو يكتب قول لا تسنده ألمصادقة، فهذه المناداة تزعّمها بعض من المستشرقين الذين لا يريدون أن تقدّم معارف صادقة عن أخلاقيات المجتمعات النامية ومعتقداتهم وأعرافهم وبخاصة التي تدين بالإسلام؛ وذلك حتى لا تنتشر تعاليم موضوعية قد تهزّ نظم المجتمعات غير المسلمة، ولهذا وُجِهت التهم إلى البحوث والدراسات العلمية التي تُبرز أهمية الدين الإسلامي وحججه وأخلاقياته بأنّها بحوث ودراسات وتعاليم غير موضوعية، ومن يقوم بهذه المهمة العلمية الرائعة يُتهم بأنّه غير موضوعي، وللأسف الشديد صدَّق بعض من أساتذتنا هذه الادعاءات وعملوا بها، في حين ازداد تمسك أهل الغرب

والمستشرقين منهم بصفة خاصة بدراسة مجتمعاتهم سواء في استطلاعاتهم العامّة أو في دراسات قُراهم أو حالات مجتمعاتهم الخاصة دون أن يصف أحدهم الآخر بعدم الموضوعية، وفي مقابل ذلك هم يصفون بُحَّاثنا وكُتَّابنا بعدم الموضوعية عندما يولون اهتماما بأمّتهم ومجتمعاتهم التي لها خصوصية تميزها عن خصوصيات الآخرين كما للآخرين خصوصيات تميزهم.

وعلينا أن نميز بين التزام الباحث بمبادئ أمته وتاريخها الذي به تعتزّ، وبين تزمّت الباحث وأنانيته على حسابها، وحساب خطوات البحث العلمي في أثناء تتبعه للمعلومة في عمليات الدراسة، فعندما يلتزم الباحث بمبادئ أمته ودينها، فإنّه في هذه الحالة يكون ملتزما بمبادئ عامّة (ملك للجميع)، وإلّا هل يُعقل موضوعيا أن يفكّر الباحث المسلم في أثناء قيامه بمهمة البحث والدراسة بأنّه غير مسلم؟ وهل الإسلام والثقافة والعادات والأعراف أملاك لفرد بعينه حتى يقال له: تجرد منها أن أردت أن توصف بالموضوعية.

عليه تكون الإجابة موضوعيا بـ(لا)، وعليه ينبغي لنا أن نعزّز الموضوعية مبدأ عاما لا يخص مجتمعا بعينه، وعلينا أن نعزّز الموضوعية مبدأ ينبغي أن يسود بين الأنا والآخر في الدراسة والحوار والجدال والبرهنة والتفاوض والأحكام.

فإذا كان الدين والعرف والعادة ومجموع القيم هي المقياس العام للموجب والسالب والمستقيم والمعوج، فكيف إذن يوصف الباحث المنسلخ عنها بأنّه الموضوعي؟ وهكذا كل باحث عندما ينتمي أو يعتقد في اتجاه سياسي أو فكري قد يصعب عليه التجرّد منه، فالباحث الاجتماعي الذي يعتقد في الفكر الرأسمالي لا يمكنه القيام ببحثه إلا داخل هذا المنظور (الرأسمالي)، وإذا وجدنا باحثا من داخل المجتمعات الرأسمالية يقوم ببحث وهو متجرد من هذا المنظور؛ فهذا يعني

أنّه غير منتمٍ إليه وقد يكون منتميا لغيره، أي: منتميا للآخر. وهكذا إذا وجدت باحثا من المجتمع الماركسي غير منتميا أو غير ملتزما بمعطيات الفكر لماركسي؛ فهذا يعني إنّه الآخر، والآخر قد يكون سالبا له وموجبا لغيره وقد يكون غير متبيّن بعد. وعليه: الموضوعية نسبية وليست مطلقة، وعلى هذا الأساس تعزّز مبدأ، ولهذا التمسك بها وكأنّها المطلقة في غير محله، إنّه تحيّز سالب يضعف حجّة الباحث وقد يسفّهها، ولأنّها نسبية ينبغي لها أن تمارس بمرونة لا باشتراطات مسبقة. ولهذا يقول الدكتور على عبد المعطي محمد: ليس هناك موضوعية، بل هناك وجهات نظر تنضوي على أحكام قيمية وتحيز لِما ينبغي أن يكون.

مع أنّني لم أوافق على أنّه ليست هناك موضوعية، إلا أنّني واثق بأنّها نسبية وليست مطلقة وعلى هذا الأساس ينبغي أن تعزّز.

وبما أنّنا نتحاور مع الموضوعية حينا ومع المتعصبين بها حينا آخر فعلينا أن نتساءل: عما هي ركائزها؟

في اعتقادنا ترتكز الموضوعية على الموضوع أوّلا، والباحث ثانيا؛ ولذا لا يمكن أن تكون هناك موضوعية في غياب الموضوع أو الباحث. وفي هذا الخصوص يقول الدكتور محمد السرياقوسي: إنّ الفصل التام بين الذات الدارسة والموضوع المدروس مستحيل لِما بينهما من علاقات متبادلة تربطهما وتدمجهما في وحدة معرفية لا تمايز فيها بين ذات وموضوع.

وعليه تفاعل الباحث مع الموضوع وعدم خروجه عنه يؤدّي به إلى الموضوعية، وفي مقابل ذلك خروج الباحث عن الموضوع لا يؤدّي به إليها؛ ولذلك يكون الباحث هو العنصر الأساسي في إبراز الموضوعية أو إخفائها، وبما أنّ الأمر كذلك فلا داعي إلى تغييب دوره أو إغفال أهميته ومراعاة خصوصيته

التي قد تفيد كثيرا في التعرُّف على الجديد وتطويره بما يحقّق نجاحا للبشرية بأسرها. وهذا يجعلنا نقول: من الموضوعية عدم إغفال بعض الأدوار الفردية وقدراتها دون أن نتعمد طمس شخصية الفرد وأهمية دور الجماعة والمجتمع في تطوير العلوم والمعارف وتنمية المجتمعات البشرية.

وبما أنّ الباحث هو الذي اكتشف القوانين وصاغ النظريات، وهو الذي أسهم في المعرفة العلمية التي تطوّرت بها العلوم وتتطوّر باستمرار، فلأنّه هكذا، فلا ينبغي لنا أن نجحد أو نغفل إسهاماته وجهوده الكبيرة في التطور العلمي نظريا ومادّيا وتقنيا، والذي يجب أن يُطمس هو أنانية الفرد وأطماعه الشخصانية التي تكون على حساب الآخرين الذين لهم الحقّ مثلما له، ولهذا تعزّز الموضوعية مبدأ عادل.

إذن: فمن الموضوعية أن يبتعد الباحث عن الأحكام المسبقة أو الأخبار السماعية عند دراسة الظواهر والمشاكل والمواضيع أو الحالات في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

ومن الموضوعية أن يلتزم الباحث بالموضوع ولا يحيد عنه عند دراسة الظاهرة.

ومن الموضوعية أن يميّز الباحث بين رغباته وأمانيه التي كان يأملها قبل البحث، والنتائج التي توصل إليها والتي تخالف توقعاته وأمنياته؛ ولهذا يجب أن تقر الموضوعية بين الأنا والآخر.

ومن الموضوعية ألّا تعمم نتائج العينات على المجتمع الذي لم تستهدفه الدراسة بالبحث، فالعينة لا تمثل إلا نفسها، ولا تعطي إلا مؤشرات

Indicators عن المجتمع الذي تؤخذ منه، وإذا عُممت أحكامها فلن تمثل المجتمع؛ وذلك لفقدانها للمصادق، ولهذا موضوعيا لا ينبغي أن تعمم نتائجها والأحكام المترتبة عليها على من لا تُجرى عليه الدراسة أو البحث، ولكن تؤخذ النتائج المتوصّل إليها مؤشرات لدراسة المجتمع مكمن الحقائق بموضوعية؛ ولهذا وعلى هذا الأساس ينبغي أن تعزّز الموضوعية.

ومن ثمّ فتعزيز الموضوعية (هي كما هي عليه) مبدأ قيمي بلا ميل ولا انحياز شخصاني ولا عاطفي والاحتكام بالحُجّة والمنطق هي المعيار، يُحسس أفراد المجتمع بقيمة التوازن، وبما لهم وما عليهم إنسانيا دون تمييز بين الأنا والآخر، وأن الحُجّة والبرهان يؤدّيان إلى نتائج مرضية تمكّن من الوقوف على الحقائق كما هي عليه دون تطويع تعسفي.

ولهذا فتعزيز الموضوعية مبدأ مؤسّس على الاعتدال والتوازن الأخلاقي الذي يجعل الأنا والآخر على مستوى قيمي لا مجال فيه لممارسة المظالم. فيه الاعتدال السُّلوكي دون مبالغة في تضخيم المشكلة أو الظاهرة ودون التقليل من شأنها. وفيه أيضا التحريض على اعتماد الحجّة في تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومة صائبة، ومنه وجوب التشجيع على قول الحقّ دون انحياز عاطفي كي يتمّ التمكّن من اتخاذ قرارات موضوعية وبلوغ حلول مناسبة وغايات إنسانية. والهدف منه حث الأنا والآخر على التمسك بالحقّ والعمل على إحقاقه دون تردد مع التوازن في القول والفعل والسُّلوك، والغرض من ورائه: حث الأنا والآخر على ممارسة الديمقراطية في كل ما يتعلّق بهم من أمر. واستثمار قدراتهما فيما يحقّق لهما النُقلة من مستويات الأنانية والانسحابية، إلى مستويات التطلعية والموضوعية.

والنظرة الموضوعية تقول: بما أنّ الإنسان مقوّم قيمي متمركز على قول الحقّ وفعل الحقّ. إذن: من يمتنع عن قول الحقّ وفعل الحقّ يتخلى عن قيمة الموضوعية وقيمة الإنسانية من جوهره.

ولأن قول الحقّ وفعله تمسك بالقيم والفضائل الإنسانية.

وعليه:

– الاعتراف بممارسة الحقوق وأداء الوجبات وحمْل المسؤوليات لكلٍّ من الأنا والآخر يعزّز الموضوعية.

– الاعتراف بأنّ المواطنة حقّ عام، والعمل على تمكين المواطنين من حرية الاختيار والتعليم والعلاج والإقامة والتّنقل على كفتي الميزان بين النّاس، تعزّز الموضوعية.

– الاعتراف بحقّ التمّلك والعمل والإنتاج، يعزّز الموضوعية.

– الاعتراف بأنّ الرعاية الاجتماعية تقدم للجميع دون تمييز حسب الحاجة، على المستوى الأسري والوطني والإنساني، يعزّز الموضوعية.

– الاعتراف بأنّ الاختيار واتخاذ القرار وتنفيذه إلى المستوى الوطني مسؤولية عامّة، يعزّز الموضوعية.

– الاعتراف بأن التجّرد من الانحياز غير العادل، يحقّق العدل العام بين النّاس ويحقّق الرضا لجميع الأطراف يعزّز الموضوعية.

– الاعتراف بأنّ العودة للمصادر الطبيعية كالدين والعرف والقيم والعودة على الدساتير في التحكيم، يعزّز الموضوعية.

– الاعتراف بأنّ ممارسة العدل بين الأنا والآخر قيميّا يعزّز الموضوعية.

– الإيمان بأنّ الرجل والمرأة والصحيح والمعاق أمام القانون متساوون يعزّز للموضوعية.

– العمل على تقديم الأشياء على ما هي عليه "على حقيقتها" يعزّز الموضوعية.

وفي المقابل: إنَّ التمييز بين الأنا والآخر لا يؤدّي إلى بلوغ نتائج مرضية؛ ولهذا فتعزيز الموضوعية وجوبي بين الأنا والآخر.

ولذا؛ لا يمكن أن تتساوى قيمة الموضوعية مع قيمة الانحياز، إلّا إذا تساوى الاستثناء مع القاعدة في دائرة الممكن المتوقّع والممكن غير المتوقّع. ومع ذلك تتساوى الموضوعية مع الانحياز من حيث إنّ كلّ منهما حقيقة لا يمكن إنكارها. ويختلفان من حيث حجّة الموضوعية وحجّة الانحياز.

وعليه لا يجب أن ينسلخ الأنا عن دينه الحقّ الذي به يعتز ليقول عنه: الآخر موضوعي. ولا يجب أن يتخلى عن قيمه وفضائله الاجتماعية مسايرة للآخر ليقال عنه بأنّه موضوعي. ولا يجب أن يتنازل عن التمسك بالأخلاق الإنسانية ليقول عنه الآخر: غير موضوعي؛ ولهذا الانحياز للحقّ خير حتى وإن رفضه البعض.

مبدأ

تفعيل المشاركة

المشاركة في ذاتها قيمة ذات مفهوم استيعابي في دائرة الممكن، وفي مفهومها هذا تعد منقوصة الحيويّة؛ ولهذا فهي في حاجة للتّفعيل؛ لكي تصبح مبدأ عمليا قابلا للممارسة، أي: إذا لم تُفعّل لن تكون لها قيمة إلّا نظريا، بمعنى: لا تزيد عن كونها مفهوما ليس إلّا.

ومن ثمّ فالمشاركة باب مفتوح على من له الحق وفقا لقوانينها المنظمة، أي: وفقا لرواء المشاركين أو المنظرين لها من أصحاب الفكر والفلسفة والمنطق. أمّا تفعيلها يعني: إدخالها ميادين العمل والتجربة وفي أيّ مجال (سلطة أو ثروة، أو ملكية، أو علاقات اجتماعية).

ولهذا؛ فتفعيل المشاركة يمكّن من الممارسة الفعلية للسيادة وأساليب الأخذ بها سواء أكانت المشاركة في اتخاذ القرار أم تنفيذه أم متابعته، ويحفّز المشاركين (الأنا والآخر) على الإقرار عن وعي بما لهم وبما عليهم والوقوف عنده .كما أنّه يُحرّض على التعاون البنّاء الذي يُمكِّن من نيل التقدير والاحترام ويرسّخ المكانة، وبخاصة عندما تكون المشاركة الفعّالة لأجل كل ما من شأنه أن يؤدّي إلى إتقان ما يقدم المشتركون عليه من عمل بنجاح، وهذا الأمر يتطلّب استثارة القوّة الذاتية للمشاركين بما يحقّق الديناميكية بين أعضائها؛ لتقرير ما يرونه مناسبا لإشباع احتياجاتهم .

تفعيل المشاركة حقّ لِمن يتعلّق الأمر بهم:

وبما أنّ المشاركة حقّ لمن يتعلق الأمر به مسلمة منطقية. إذن منطقيا حقّ المشاركة مبدأ لا ينبغي إغفاله،

ولأنّ أساس الوجود الاثنين (الذكر والأنثى) مصداقا لقوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[29]، إذن: المشاركة أساس الوجود، ولأنّ الوجود متنوّع؛ فالتنوّع لا يكون إلّا مشاركة، ولذا وجب تفعيل المشاركة بما يناسب الحاجات المشتركة والمتطوّرة عبر التاريخ.

ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه. إذن فالمشاركة حقّ. ولأنّها حقّ، فلا ينبغي التنازل عنها أو الحرمان منها.

وعليه:

. لا تتنازل عن حقّك، وشارك الآخرين الذين لهم علاقة بأمرك.

. طالب بحقّك، واعمل على إعادته إذا أُخذ منك عنوة.

. اقبل أو ارفض من أجله.

. تفاعل من أجل حقّك.

. نافس من أجله.

. تعلّم فالتعليم حقّ.

. اعمل فالعمل حقّ.

---

[29] الذاريات 49.

. انسحب إذا عرفت أنّ ما أقدمت على المشاركة فيه ليس من حقّك، أو أنّه سيؤدّي بك إلى الخسارة أو الهلاك.

. تطلّع فالتطلّع حقّ.

ولأنّ المشاركة تؤدّي إلى القوّة (الموحّدة)، والانفراد يؤدّي إلى الضعف أو القوّة (المنفردة)، إذن فتفعيل المشاركة مبدأ.

ولذا؛ شارك الآخرين إذا أردت أن تزداد قوّة. أمّا إذا رغبت الضعف، فلن تجد لك مكانا إلّا منفردا.

وإذا تساءل البعض: ما معنى أنَّ الشركاء أولى بتقرير مصيرهم؟

أقول:

. ألّا ينوب عنهم أحد وهم قادرون على ممارسة كل ما يتعلّق بهم من أمر.

. أنّهم يمتلكون زمام أمرهم وهم أدرى به من غيرهم.

. أنّهم وحدهم أولى بتحمّل مسؤولياتهم وما يترتّب عليها من أعباء جسام.

ولأنَّ تفعيل المشاركة مبدأ، إذن: فالأخذ به واجب.

ولأنّ الإنسان قوّة في خَلقه، ويراد له أن يكون قوّة، إذن: ليس له بدّ إلّا تفعيل المشاركة في كلّ ما من شأنه أن يسهم في إحداث النُّقلة الحضارية والثقافية علما وعمرانا وأدبا وفنا.

ومن هنا فالمشاركة مساهمة أو تحاصص في الانتماء أو الملكية أو الدور أو الموقف الذي يتطلّب اتخاذاً عن إرادة، ويترتّب على المشاركة حقوق ينبغي لها أن تمارس، وواجبات ينبغي أن تؤدّى، ومسؤوليات ينبغي لها أن يتمّ حمْلها وتحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء.

والمساهم هو من يشترك فيما يُسَاهَم فيه، ليكون قابلا لكلّ مترتّب على إسهامه سواء أكان المترتّب ربحا أم خسارة، ولهذا المساهم وإن توقَّع أو استهدف وأمل ربحا في أثناء مساهمته في الشيء القابل للمساهمة فيه إلّا أنَّه في دائرة الممكن لا ينبغي أنْ يُغيِّب عن عقله احتمالية التّعرّض للمتوقّع ربحاً ولغير المتوقّع خسارة.

وعليه: فالقبول بالمشاركة يستوجب القبول بالأمرين (الرّبح والخسارة) حتَّى وإن كان أحدهما لا يؤمل في دائرة الممكن المتوقّع ، ولهذا في مُعظم الأحيان تظهر الخسارة من دائرة الممكن غير المتوقّع، ممّا يجعل المحللين والمشخِّصين والمفسِّرين للأحوال والقضايا والمشاكل والمواضيع والمواقف غير مستغربين؛ وذلك لمعرفتهم أنَّ كلّ شيء في دائرة النسبية ممكن، وخير مثال على ذلك: قصّة النبي يونس عليه الصّلاة والسّلام الذي لم يكن مستغربا في مساهمته، ممّا جعله يقبل المساهمة دون تردّد وهو راضٍ بما سينتج أو يترتّب على مساهمته، قال تعالى: {فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ}30، أي كما قَبِلَ يونس بالمساهمة من قَبل كذلك كان قابلا أن يكون من المدحضين، فدُحِضَ إلى مياه البحر وأعماقه لولا أن التقمه الحوت قبل أن يسقط في أعماق البحار مع المدحوضين المغرقين، قال

---

[30] الصافات 141.

تعالى: {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}31.

ولأنَّ يونس عليه السّلام كان قابلا وراضيا بما وصلت إليه نتيجة المساهمة التي كان فيها من المساهمين فلا داعٍ لأن يُسقط من قِبل الآخرين، بل عليه أن يقفز بنفسه من الفلك المشحون إلى المياه المتلاطمة الثائرة بالأمواج؛ ولهذا عندما همَّ يونس ليقفز كان الحوت على السّرعة المتزامنة للقمه قبل أن يقع في المياه في أعماق البحر.

إذن: المساهمة لا تكون إلّا عن إرادة حرّة ممّا يجعل المترتّب عليها لا يُرفض من قبل المساهمين أي: كلّ المترتّب على المساهمة يستوجب القبول مع كلّ الرضا.

والمساهمة قد تكون بالنّفس والمال، وقد تكون بأحدهما وقد تكون بما يُمتلك عينيًا، وفي كلّ الحالات هناك مترتّب منتظر في دائرة الممكن الموجب والسالب؛ فإن تحقّق الموجب كان الرّضا متحقِّقا، وإن تحقّق السالب كان الندم واللوم على النّفس التي قبلت بالمساهمة، ومع ذلك لابدّ أن يكون القبول هو السائد بين المساهمين، وعليهم بالعمل الذي من شأنه أن يُصلح ما أفسدته المساهمة إن استطاعوا، وإن لم يستطيعوا فما عليهم إلّا القبول والامتثال للأمر الواقع.

---

[31] الصافات 142 . 144.

والمساهِم إن ساهم مع الآخرين فيما يشاؤون ويشاء، يكون له نصيب معهم بمقدار المساهمة، وهذا النصيب يجعل له حقوقا معهم، وله واجبات يجب ألّا يتأخّر عن تأديتها كلّما طُلبت منه؛ ولذلك يترتّب على المساهمة أمرين:

. حقّ يؤخذ، ويطالب به.

. واجب يؤدّى، ويلتزم به أو يَلزَمُ عليه.

وهناك من يرى أنَّ المساهمة هي اقتراع فمن قَبِل بها قَبِل بإجراء القرعة أو المقارعة، ومع أنَّ الفرق كبير بين المفاهيم الثلاثة إلّا أنّها ذات علاقة من حيث المعنى الذي يؤكّد على ما تدلُّ عليه الكلمة، وهذا في كثير من الأحيان يتطابق مع المفهوم الذي هو وراء كلّ منها، ممّا جعل لكلّ مفهوم دلالة وخصوصية، ولذلك من حيث المفهوم نقول:

المساهمة: أن يشترك المشترك بجهده أو ماله أو جزء منه أو جزء ممّا يمتلك؛ لتكون له حصّة مع المتحاصّين بالمساهمة المتّفق عليها مسبقا، ولهذا فالمساهمة لا تكون إلّا على الاستطاعة وحسب الرّغبة وبكلّ إرادة دون إي إجبار، وتكون نتيجة المساهمة مؤدّية إلى التسليم وقبول الأمر الواقع؛ وبذلك تكون المساهمة مادّية (النّفس المال الملك) وفي هذا الأمر يكون حالها كحال الجهاد في سبيل الله بما تستطيع أن تجاهد

ساهم جهادا تنال خيرا كثيرا، وحالها كحال مساهمة يونس عليه السّلام، (فوزا أو غرقا)، ولكن حسابات علّام الغيوب تختلف؛ فيونس الذي قَبِلَ أن يكون من المدحضين في البحر وكان حقيقة ماثلة أمام أبصار المشحونين في الفُلك أنَّ يونس مُلتقم في فم الحوت وظنوا أنَّه قد لبث في بطنه إلى يوم يبعثون،

ولكن علَّام الغيوب أنقذه من الغرق بما سخَّر له من حوت لينقذه ويلقيه إلى الشاطئ آية كبرى من آيات الله العظيمة.

المقارعة: في المفهوم الدلالي للمقارعة ما يشير إلى وجود تحدٍ بين المشتركين في المقارعة، ممّا يجعل للحُجَّة أهميّة في الإثبات أو الدّحض والنفي؛ ولذا يكون في مفهوم المقارعة ما يؤدّي إلى المغالبة، ولا يكون الحظّ بها مرتبطا، ونتيجتها لا تؤدّي إلى التسليم بقدر ما تؤدّي إلى المواجهة، وقد تكون المقارعة كلامية (حُجَّة بحجَّة) وقد تكون (قوّة بقوّة) مع تعدّد الأساليب والوسائل الممكِّنة من المغالبة.

القرعة: القبول بالمشاركة دون أن تكون هناك ضرورة لِما يُمكن أن يُدفع مُسبقا أو يمكن أن يساهم به، كما هو حال الذين أجروا القرعة على من يكفل مريم مصداقا لقوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}[32]، وكذلك كأن تُجرى القرعة بين البعض لأجل فرز من تُعطى له الفرصة لقضاء فريضة الحجّ، وهذه القرعة لا تستوجب جهدا يُبذل في سبيلها، بل تتطلّب أن يتقدّم المتقدِّم كغيره من المتقدِّمين رغبة منهم لأداء فريضة الحجّ. وفي مُعظم الأحيان يرتبط الحظّ مع الذين تكون القرعة من صالحهم أو أنّهم فازوا بها فوزا محظوظا، ومع ذلك وإن ارتبط الحظّ مع القرعة إلّا أنَّه لا يقتصر عليها؛ فكثير من الأعمال تكون نتائجها للصّابرين ولأصحاب الحظّ العظيم مصداقا لقوله تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}[33] ونتيجة لأنَّ الأعمال بالنيّات فإنّ الفوز بما هو عظيم لا

---

[32] آل عمران 44.

[33] فصلت 35.

يتحقّق إلّا مع الذين لهم صفاء النيّة وطاعة النّفس مخافة من الله لا مخافة من غيره، ولهذا بشَّر الله الصابرين أصحاب النوايا الخيّرة والأعمال الصادقة بأنَّ لهم من ربِّهم رحمة، قال تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}34.

ومع أنَّ للمشاركة والمساهمة تداعيات الوقوع في الخسارة مثل تداعيات الفوز والكسب وكلّ ما من شأنه أن يحقّق أرباحا للمساهمين، فإنّ البعض إنْ تعرض إلى الخسارة أصبحت وجوههم عبوسة، وكأنّهم لم يعرفوا حسابات المساهمة (ربح وخسارة).

ولذا؛ فإنَّ تفعيل المشاركة مبدأ قيمي يحفّز على التعاون والتفاعل؛ والمشاركة قد تكون مشاركة خاصة غير مورّثة، وقد تكون مشاركة ميراث، قال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أو كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا}35.

وهنا فالمشاركة في الميراث قد تكون على التساوي وقد لا تكون حيث لكلّ نصيب في الميراث المتروك بوصيّة أو بدونها، ولكلٍّ تفصيلاته، ولكن ما يهمّنا هنا أن نعرف أنَّ الحياة مؤسّسة على قاعدة المشاركة التي أساسها الخلق الزوجي؛ فالزوجيّة قاعدة التكاثر النوعي لجميع المخلوقات {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا}36، وقوله

---

[34] البقرة 155 . 157.

[35] النساء 7.

[36] النبأ 8.

تعالى: {وَمِنْ كلّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}37، فقوله (وَمِنْ كلّ شَيْءٍ) نزلت مطلقة إذ لا شيء خُلق إلّا والزوجية أساسه، ولأنّ كلّ شيء مؤسّس على الزوجية، إذن :كلّ شيء يشارك نوعه في الحياة تكاثرا وعناية ورعاية، ولكلّ نوع خواصّه التي بها يتكاثر ويشترك في الصفات والأعمال والسلوكيات.

ولأنّ الزوجيّة هي قاعدة تأسيس المشاركة بين الأنواع في الفطرة والمشاعر والعواطف والمودّة؛ فكانت المودّة على المستوى البشري قوّة ترابط ومشاركة بين بني الإنسان مصداقاً لقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}38. ولأنَّ المودّة جاءت بينيّة (بين النَّاس)؛ فهي قيمة تشارك ورابطة أواصر بين الآباء والأبناء والأقارب وغيرهم ممن يقع في دائرة المعرفة المشتركة مودّة ورحمة. ولذا فالأرض هي فراش للجميع، ومُلك للجميع؛ فلا يحقّ لأحدٍ احتكارها أو العبث فيها وإفسادها، قال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}39؛ فقوله (رِزْقًا لَكُمْ) أي: رزقًا مشتركا للجميع؛ فمن عمل منكم صالحًا يجني ثماره خيرًا وافرا، ومن عمل منكم منكرا يجني ثماره ألما موجعا.

ولأنَّ الحياة مؤسّسة على المشاركة، كانت المشاركة بين النَّاس سُنّة (سلمًا وحربًا)، ولهذا فالجهاد مشاركة بالنفس والمال والتخطيط والتدبّر وإعداد العدّة،

---

[37] الذاريات 49.

[38] الروم 21.

[39] البقرة 22.

قال تعالى: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ}40.
وقال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ}41.

وعليه: فالمشاركة وفقًا للاستطاعة قيمة حميدة بين النَّاس في سِلمهم وحربهم؛ ولذا ينبغي أن تُفعّل. وبخاصّة أنّ أمر المشاورة بين النَّاس جاء مشاركةً قال تعالى: {وَشاورهُمْ فِي الْأَمْرِ}42. أي: شاركهم يا رسول الله في الأمر الذي يتعلّق بهم، ذلك لأنَّه حقّ لهم؛ فإن شاورتهم تمكّنوا من اتخاذ القرارات الصائبة والصادقة، وإن لم تتمّ مشاركتهم؛ فلن تعرف حقيقة مواقفهم من الأمر الذي ينبغي أن يكون بينهم شورى {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}43.

وعليه: فالنّاس مجعولون على المشاركة جعلا؛ ولهذا وجب تفعيلها في كلّ زمن وعصر، وبخاصة أنّ الدين قد كفلها للناس كلّما اشترك النَّاس في أمرٍ سواء أكان أمرا سياسيّا أم اجتماعيّا أم اقتصاديّا أم أيِّ أمرٍ من الأمور التي لا ينبغي لها أن تكون وتسود إلّا بذوي العلاقة، ومع أنَّ المشاركة حقّ وفقا للأمر المشترك بين من يتعلّق الأمر بهم، فإنَّ البعض يحرم البعض الآخر تغييبا وإقصاءً وحتّى قتلا لكي ينفرد بالأمر، ولكن إن قَبِل من قَبل أن يكون خاضعا له، فعليه بإظهار الطّاعة التَّامّة لذلك الظالم الطّاغي الذي قرّر الانفراد بالأمر كرها وإلّا فمصيره كمصير غيره.

---

[40] التوبة 88.
[41] الأنفال 60.
[42] آل عمران 159.
[43] الشورى 38.

ومع ذلك النَّاس كلّ النَّاس لا يمكن أن يجمعوا على قبول الرّضوخ تحت أقدام الطّاغية الظَّالم؛ فهم بين رافضٍ ومتمرّدٍ وثائرٍ، وقابلٍ متكيّفٍ مع الأمر الواقع ظلما، وبين منافقٍ بين خوفٍ وجبنٍ.

ولأنَّ النَّاس يتفرّقون وهم أيضا قابلون لأنْ يُفرّقوا عنوة؛ فإنَّ الطغاة يعرفون جيّدا أنَّه كلّما ازداد تفرّق النَّاس ضعفوا ووهنوا واستكانوا؛ ولذا فهم يعملون ليلا نهارا على مزيدٍ من الفرقة؛ حتَّى بين المرء وزوجه.

والمشاورة قيمة استيعابيّة تتّسع دوائرها باتساع الأمر، وهي حقّ لكلّ من يتعلّق الأمر به على أي مستوى من مستويات الأمر الجماعية والمجتمعية وفي أيّ مكان وزمان، والمشاور هو الموصوف بالمشاورة التي تعني: أخذ الرأي بعد تبيان الأمر واستيضاحه {وَشاورهُمْ فِي الْأَمْرِ}44، وهذا يدلّ على أنَّ مفهوم الشورى يتعاظم كونه قيمة حميدة لا يقتصر على فئة أو جماعة دون أخرى، بل الشورى حقّ لكلّ النَّاس وأيّ عددٍ يمكن أن يكون في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولذلك فممارسة الشورى حقٌّ للجميع الذكور والإناث؛ ولهذا لا أمر (أي أمر) إلّا ويفعّل بالشّورى.

ولأنَّ الأمر هو، كلّ ما يتعلّق بالإنسان من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمْل مسؤولياته، فهو واجب الأخذ به، ولذلك في الآية السابقة يخاطب الله تعالى رسوله الكريم ويلزمه بالمشاورة في الأمر، وكأنّه يقول له، في وجودك يا رسول الله لا ينبغي لك أن تقرّر أيّ شيء يتعلّق بالنّاس نيابة عنهم، بل ما يتعلّق بهم من أمرٍ يجب أن تكون فيه في حالة شورى معهم، ولذلك كانت الآية (وَشاورهُمْ

---

44 آل عمران 159.

فِي الْأَمْرِ) موجَّهة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبيّن له أهميّة المشاورة في الأمر مع الذين يتعلّق الأمر بهم.

وبعد أن تتمّ المشاورة في الأمر الذي هو بين النَّاس (شركاء فيه) يجب أن يؤخذ القرار الذي أصبح العزم فيه واضحا حيث لا تردّد من بعد مشاورة تفضي إلى قرار عن وعي وإرادة ورغبة، (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكلّ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)، أي: إذا بلغت مرحلة اتخاذ القرار، واتّخذته بعد المشاورة فتوكّل على الله لتنفيذه وفقا لِما صمّمت عليه من رأي، أي: لا يجب عليك أن تتأخّر؛ فأمضِ حيث ما عزمت؛ فإنَّ الله يُحب المتوكّلين عليه في تنفيذ أمورهم التي هي في مرضاته تعالى.

ولذلك كانت منابر المساجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منابر دعوة وتبشير وشورى وفي كلّ أمر يتعلّق بالنّاس؛ ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاورا لمن يتعلّق الأمر بهم سلما وحربا وعهدا وموثقا. ويا ليت النَّاس من بعده كانوا على هدى الشورى سياسة واقتصادا واجتماعا، بل اليوم الانحرافات عن الشورى هي السائدة، ممّا جعل الأمور في أوطان المسلمين تزداد تأزُّما؛ فحكم الفرد المطلق، والأسرة المطلقة، والجماعة المطلقة، والقبيلة المطلقة، والحزب المطلق هي بداياتها مخالفة، ونهاياتها جريمة واختراقا لحقوق الإنسان وكرامته استعبادا وإذلالا وقهرا؛ ولهذا تزداد التأزُّمات تأزُّماً والشدّة أكثر ألما.

ولذا فقوله (وَشاورهُمْ في الأمر) هي الباقية حتَّى وإن كانت نتائج بعض المشاورات ليست بالإيجابيّة الظاهرة؛ ولأنّ الكمال لله وحده فلا استغراب أن يكون النَّاس الذين يتعلّق الأمر بهم على غير كمال؛ فيقعون في مثل ما وقع فيه المتشاورون في موقعة أحد بأسباب عدم التقيّد بما عزم عليه رسول الله وهو البقاء

على قمّة الجبل لبعض من الرّماة، ولأنَّ الشورى حقّ فلا ينبغي أن تُفسخ بأسباب عدم الكمال، بل به يجب أن تُرسَّخ بين النَّاس ليكونوا على الحقّ أو منه أقرب. أي: إذا كان رأي النَّاس لم يبلغ الكمال؛ فكيف بحال من ينفرد بالرأي بعلّة أو بدون علّة!

وفي حديث عن سيدنا عليّ رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله الأمر ينزل بعدَك لم يَنزل فيه قرآن ولم يسْمع منك فيه شيء قال: اجمعوا له العابِد من أمّتي واجعلوه بينكم شُورى ولا تقضوه برأي واحد"45.

وفي عهد ملكة سبأ كان للمشاورة شأن؛ ولهذا كانت في ذلك الوقت على القوّة التي بها يُضرب المثل، قال تعالى: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حتَّى تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أولُو قوّة وَأولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}46.

ولأنَّ الله واحد لا شريك له لا يُثنى ولا يُجمع؛ فهكذا الحقّ هو واحد لا يُثنّى ولا يُجمع، ولهذا ينبغي لنا أن نجمع النَّاس شورى بالحقّ كي لا يتفرّقوا من بعده.

إذن: الأمر الذي يتعلّق بالنّاس في فترة الرّسول صلى الله عليه وسلم كان في حالة شورى بين الرّسول والآخرين الذين يتعلّق الأمر بهم. أمَّا من بعده فيترك الأمر بين الذين يتعلّق بهم شورى يقرّرون ما يشاءون فيه، وينفّذونه كما

---

[45] التحرير والتنوير، ج 3، ص 263.

[46] النمل 32، 35.

يشاءون وفقا لما يرون، ولهذا لا ينبغي لأحدِ أن يتقدّم لينوب عن النَّاس فيما يتعلّق بهم من أمر دون أن يكلّفوه به تكليفا إراديا.

وكلمة (أمرُهُم) تتكون من جزأين هما:

. أمْرُ.

. وهُم.

فالأمر هو ما سبق تبيانه، أمّا (همّ)؛ فجاءت مطلقة، أي: كلّ من هم على علاقة ارتباط مع الأمر، ولفظة (بينهم) الظرفية تعني: أن تقتصر الشورى في الأمر على الذين يعنيهم الأمر فقط ولا مكان لغيرهم فيه، ولتأكيد هذا الخصوصية قال عزّ وجل (بينهم)، ولم يقل بين الحاكم والمحكومين، أو بين السّادة والعبيد، أو بين المسؤول وغير المسؤول.

والشورى فضيلة خيّرة وقيمة حميدة استمدّت من الدين والعرف الذي هو المكوّن العام لكلّ الذين تعنيهم الشورى في الأمر؛ ولهذا وجب تفعيلها مبدأ قيميًا؛ فالشّورى من أخلاق العقلاء كونها رافدا مهمّا في تحسين الاختيار الذي يصبّ في قرار الإرادة الناتج عن الوعي الجمعي، ومن شاور النَّاس شاركهم فيما يعقلون، وذلك من أجل تحرّي أفضل السُبل التي تقود إلى نجاح فكرة ما أو رأي ما أو قضية من القضايا الاجتماعية والإنسانية، ذلك أن أيّ قرار بإرادة لا يستند على المشاورة؛ مبني على نقص في الفكرة؛ ولذا فالعلاقة قويّة بين الإرادة والأمر والواقع والظرف الذي هو فيه؛ فالإرادة قيمة تُمكِّن من اتخاذ قرارات وفق معطيات واقعية، وهذا الواقع إنّما يتمثّل في أفراد المجتمع الذين يتعلّق الأمر بهم، وكلّما كانت دائرة المشاركة والشورى متَّسعة للذين يتعلّق الأمر بهم، كان الاختيار أقرب إلى

الواقع، أو مطابقا له، وبالتّالي كان قرار الإرادة ينسجم مع هذا الواقع الذي يُهيّئ له في دائرة الممكن.

ولأنَّ الأعمال تتفاضل وتختلف درجاتها، وشرط نجاح الأعمال سلامة المعتقد، أو نجاح الفكرة أو الأفكار التي تقوم عليها تلك الأعمال، ومن أجل تطابق الفكرة النظرية مع الواقع العملي قدر المستطاع وجبت المشاركة والشورى التي تؤسّس على الإرادة من أجل ممارسة الحقّ والعمل على إحقاقه.

فالشورى لا تقتصر على فرد أو صديق أو جماعة دون أخرى، وإنّما كلّما اتسعت دائرة الشورى، اتّسع مجال الاختيار، وحتّى الذين لا تظنّ بهم خيرا يدخلون ضمن الشورى التي بأسبابها تتطهّر أنفسهم أو تقتدي للأحسن والأقوم؛ فمن خلال الشورى يتمّ الحصول على أفكار عقلية وخلاصة تجارب تستند إلى أساس واقعي، فمجموع الأفكار التي يتمّ استخلاصها شورى إنّما هي نتاج تجارب وخبرات وحاجات متنوّعة ومتطوّرة إمّا مقتبسة من الواقع من خلال المشاهدة بإعمال الفكر وعملية التأمل، أو مكتسبة منه على أساس تجربة سابقة؛ فهذه الشورى وإن كانت فكرة ذهنية، فإنَّها تكوّنت من معطيات واقعية، وعلى هذا الأساس يستطيع المشاور أن يُركِّب من خلال إدراكه لِما هو واقع مدركات وتصورات جديدة تُسهم أو تؤدّي إلى إنتاج معرفة مضافة بأساليب أكثر فائدة ونفع في صناعة المستقبل الأفضل.

وعليه: المشورة هي إغناء الفكرة من استظهار آراء الآخرين لمعرفة ما لديهم من خبرة ومعرفة ورأي، وكذلك فهي تشدّ أواصر الرابطة الجماعية والمجتمعية بين من يتعلّق الأمر بهم؛ فالمشورة تنوِّر الأفكار وتوضِّح الأمور، ممّا يضفي زيادة في الفهم عندما يقدم العقل على الاختيار وخاصّة في الأمور المصيريّة التي تحتاج

إلى إمعان النظرة وتقليب الفكرة، ولذا فإنَّ الشّورى أمر يجب الأخذ به والعمل عليه مشاركة؛ فهي قيمة حميدة وفضيلة خيّرة، ومن يريد أن يبقى غير طائعٍ للطغاة فعليه بتفعيل المشاركة شورى في كلّ أمر مستوجب الاستشارة فيه.

إذن: الاستشارة تؤدّي إلى صواب الرأي، ولا يكاد المشاور أن يخطئ، وإن أخطأ بأسباب عدم الكمال فقد شارك من استشارهم في حمْل المسؤولية.

ولذا؛ فإنْ أُرِيدَ للمجتمع أن يكون قويّا؛ فعليه بتمكين أفراده من ممارسة المشاركة شورى في المجالات الآتية:

المجال الاجتماعي.

المجال الإنتاجي.

المجال السياسي.

المجال النفسي.

المجال الذوقي.

المجال الثقافي.

ولأنَّ أمر الحرب كأيِّ أمر من أمور النَّاس هو شورى بينهم؛ فلا يجوز فيه الإجبار من أحد، ممّا جعل الرّسول عليه الصلاة والسلام في عهده لا يتجاوز التحريض على الجهاد، ولذا فمن لا يرغب في ذلك لا يكره ولا يرغم ولا يساق إلى جبهات القتال بالسياط والتهديد بالقتل كما هو حال الجيوش النظامية التي تجنّد بأوّل غرض وهو حفظ أمن الطاغية، ثمّ بعد ذلك إن كتبت حربا على الطّاغية بما يقدم عليه من أعمال وأفعال الفساد.

وعليه: لم يكن للرّسول جيوش نظامية كما هو حال المجتمعات من بعده، بل كان معه مقاتلون من أجل إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل وبكلّ اشتياق ورغبة، ممّا جعلهم يوصوفون بـ(المجاهدين)، أمَّا أمر الجيوش؛ فهو عبارة عن موظفين مأجورين من قبل الدولة للدّفاع عن النّظام وقمّته بشكل خاصّ، وعندما تُكتب عليهم الحروب يدخلونها متثاقلين غير راضين، وليس لهم حرّية التخلّف عن تنفيذ الأوامر التي تصدر لهم، وهم لا رأي لهم فيها، ممّا يجعل الهزائم العسكرية علامة من علامات الجيوش المأجورة.

وبالرغم من الخسارة الحربية للمسلمين في بعض المعارك التي خاضوها ضدّ الذين كادوا لهم المكائد ومكروا بهم مكر فإنَّ الانتصارات كانت هي الحليف الأكثر تكرارا لهم، وذلك نتيجة الإيمان بالقضية التي جاهدوا في سبيلها بالقوّة، قوّة العقيدة وقوّة التوحيد وقوّة الحُجّة وقوّة النّفس وقوّة الإرادة التي جعلت للتهيّؤ والاستعداد والتأهُّب أهمية ورفعة شأنا.

إذن: الفرق كبير بين من يقاتل من أجل قضيّة عن إرادة، ومن يقاتل من أجل حكومة مكرها؛ فالذي يقاتل من أجل قضيّة دينية أو وطنية؛ فهو يقاتل في حقيقة الأمر من أجل كرامة شخصية يكون لها اعتبار بين النَّاس ويكون لها اعتبار في المستقبل الخالد، ممّا يحقّق للمقاتل النّصر أو الاستشهاد، أمَّا الذي يقاتل بغير قضية؛ فلا يكون له اعتبار لا في الحاضر ولا في المستقبل، ممّا يجعله في حالة استسلام وهزيمة ويكون النّدم غير مفارق له.

وعليه جاء الأمر في قوله تعالى: (شاورهُمْ) مطلقا لا مقيدا على أمرٍ محدّدٍ، أي: شاورهم يا محمَّد في كلّ أمر من أمورهم المؤدّية إلى علاقات بينهم؛ فالمشاورة بين المسلمين جاء النصُّ عليها فيما لم يرد بشأنه نص واضح مبيّن؛

فالذي نزل بشأنه نص قرآني لا شورى فيه، بل به يتمّ الالتزام والاتباع مع فائق الطّاعة.

ولأنَّ الشورى هي البوتقة لأخذ الرأي الصواب والرّشاد إلى ما يجب؛ فهي حقّ يجب أن يُعطى ويُمكَّن النَّاس منه، وإن لم يعط سيتمّ أخذه كلّما تهيأت له الظروف. والشورى في عهد الرّسول عليه الصّلاة والسّلام إن أردنا القدوة الحسنة لها مرامٍ منها:

. تُمكِّن من معرفة خير الأمور بين النَّاس وأشرّها.

. تُمكِّن من اتباع أمر الله بين العباد وبالعباد.

. تُمكِّن المتشاورين من المعرفة الحقّة.

. تُمكِّن من معرفة المتميّزين واكتشافهم في المجتمع فكرا واستعدادا وقدرةً وقدوةً حسنة.

. تُمكِّن المشاركين من حمْل أعباء المسؤوليات الجسام.

. تُمكِّن أصحاب الأفكار والرؤى من بوتقة أفكارهم ورؤاهم في اتخاذ قرارات قابلة للتنفيذ وفقا لِما هو متاح لديهم من إمكانات.

. تُحسِّن من المستوى المعرفي للمتشاورين وترتقي بهم إلى ما يفيد وينفع.

. تُمكِّن الأفراد والجماعات من الانتماء إلى النظام الذي أقرَّ لهم حقّ المشاركة.

إذن: الشورى تمكّن النَّاس من ممارسة الحكم على قاعدتين رئيستين هما:

1 . إحقاق الحقّ.

2 . إقامة العدل.

وفقا لهاتين القاعدتين لا مكان لمحتكر لعناصر القوّة، أي: لا مكان للطّغاة والمتجبّرين والمتكبّرين والظّالمين والمفسدين في الأرض والفاسدين؛ ولذا لا طاعة لأحدٍ على أحد إلّا في حالتين هما:

. طاعة أولي الأمر في غير معصية الله تعالى، {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}47.

5 . طاعة أولي الأمر منكم، وهؤلاء ليس هم أولي أمركم؛ فالفرق كبير بين أولي الأمر منكم، وأولي أمركم؛ فأولو أمركم همّ الوالدين أو من يحلّ محلّهم من الأخوة والأقارب الذين يتعلّق الأمر بهم، أمَّا أولو الأمر منكم مصداقا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}48؛ فهم الذين أوليتموهم أمركم وفقا لدستور أو عرف أو قانون أو عقد اجتماعي وإنساني، ممّا يجعل طاعتهم طاعة للأمر الذي هو منكم، وفقا للصّلاحيات والاختصاصات والحقوق والواجبات والمسؤوليات الموثّقة والمشرّع بها.

---

47 لقمان 14، 15.

48 النساء 59.

وعليه: فالمطاع هو الذي يتمَّ اتِّباعه عن رغبة وإرادة، والطّاعة الحقّ لا تكون إلّا للحقّ والذي يأمر به، ولهذا في الطّاعة اتباع، ونيل تقدير، ونيل احترام، ونيل اعتراف، وتحقيق اعتبار، وفي معكوس المعنى اللغوي للطّاعة يكون الضلال والمعصية، وهنا يصبح في مقبل الطوع يكون الكره.

ولأنَّ الدّين الحقّ من عند الله؛ فالله تعالى أوجب طاعة الرّسول ثمّ تلاها بطاعة أولي الأمر من النَّاس طاعة في غير معصية لله، ولذا فإنَّ قوله (وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) لا تعني أولي أمركم، فأولي أمركم تعني: من يتولاكم بالرّعاية والعناية كالوالدين والأخوة الكبار، أمَّا أولي الأمر منكم تعني: الذين اخترتموهم طواعية للقيام برعاية الأمر الذي هو منكم، وهذا الأمر هو أيِّ أمر منكم سواء أكان سياسة داخلية أم خارجية أم سلما أم حربا، فالذي اخترتموه لذلك عليكم بطاعته في الأمر الذي اخترتموه من أجله، وهذا يعني لا طاعة له في غير الأمر الذي تمَّ اختياره ليكون عليه وليّا راعيا. ولكن هناك من يولّى على الأمر فينقلب على من أولوه رعاية الأمر الذي أولوه عليه، ممّا يجعله يخطو بأوّل خطوة لتغيير الدّستور أو العمل بقانون الطواري؛ فيقمع الشّعب بكلّ الوسائل المكمّمة للأفواه المطالبة بالحرّية، ويغيّر عناوين الإدارات والمؤسّسات، كما يغيّر المسؤولين من مسؤولين لهم من القدرات والمهارات والخبرات ما يكفي لإدارتها بآخرين أزلام ليس إلّا؛ فيولّي على النفط من لا علاقة له بعلم النفط وسياساته، ويولّي على التعليم من لم يتأهل حتَّى بالشهادة الإعدادية، ويولي على الصّحة من تخصّصه الجغرافيا، وهكذا كلّ شيء يتغيّر بغير حقّ لتصبح المظالم هي السائدة وآلام الشّعب وأوجاعه تتضاعف، والرّفض جنبا إلى جنبٍ معها يتضاعف إلى أن يبلغ السيل الزبا؛ فيهب الشّعب بأسره غضبا من أجل كرامة جرحت، وهويّة طمست ودين شُوّه، وقيم قوّضت.

مبدأ

ترسيخ الشفافية

الشفافية قيمة أخلاقية غايتها إظهار الحقيقة (هي كما هي)، إنّها وضوح الرؤية وتجلّي الحقيقة؛ إذ لا شيء يخفى، أي: بما أنّه شيء، فكيف لنا أن نخفيه من الوجود؟

ولهذا فالشفافية transparent وضوح في المعاملة بين الأنا والآخر، ولا سرية عنهما فيما لهما فيه حقّ، وتعامل إرادي تنساب من خلاله المشاعر والأحاسيس بين المتفاعلين أو المشتركين في أداء المهام بكل ود.

وهي قيمة ترابطية بين الكامن المعرفي والظّاهر السُّلوكي، بها تتضح العلاقة بين الفرد ومحيطه المعلوماتي، فلا سرية عمّن يتعلّق الأمر به. وهي أيضا تلغي الشكوك من القاموس السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتُمكِّن الفرد من الاندماج والتواصل مع الآخر. فيها الرّقي الذوقي والوضوح المجرد من كل شائبة؛ فالشفافية قيمة شرطية لممارسة الحرية بإرادة، وبها تُقدَّم الأشياء على حقيقتها هي كما هيّ دون أي تزوير أو تشويه أو إخفاء عمدي.

ولأنَّ الشفافية ضرورة لاستمرار المشاركة الناجحة والبناءة، إذن: لمَ لا ترسّخ؟

أي: لم لا تثبت مبدأ معرفيّا وسلوكيّا حجّة وفعلا وثقافة حتى تصبح عرفا إنسانيا وأخلاقيا من خلال سن القوانين الضامنة لممارسة الحقوق بشفافية، وأداء الواجبات بشفافية، وحمل المسؤوليات بشفافية؟

ولأنّ الشفافية قيمة حميدة، فهي تواجه الفساد والمفسدين بحجج ودلائل وحقائق دامغة (نزاهة أو إدانة)، وهي: بغاية المحافظة على رأس المال وما يعود عليه من مكاسب، بلا خيانة عمل ولا تبييض أموال ولا اختلاسها على حساب حسن الإدارة وجودة الأداء وسمعة الأنظمة السياسية والاقتصادية والمالية سواء على مستوى الشركات أم مستوى الدّول.

ولأنّها كذلك: فلِمَ لا ترسخ مبدأ أخلاقيا بداية من العلاقات الأسرية ونهاية إلى علاقات الأفراد مع العمل ومؤسّسات الدولة، ورأس سلطانها دون خوف؟ ولِمَ لا ترسّخ الشفافية تطبيقا على رأس السّلطان أو ربّ العمل قبل أن تطبّق على القوى العاملة والمواطنين؟ أي: متى يصبح رأس الدولة رأس بين الرؤوس والشعب قمّة بكلّ شفافية؟ أي: متى يصبح المواطن غير منعوت بالتهم ورأس الدّولة آمن؟

هذه الأسئلة وغيرها كثير متى يفسح لها المجال لتقال في وسائل الإعلام ولا خوف على سلامة الشفافية؟

وعليه: فالشفافية كلمة حقّ في مواجهة باطل، وهذا يعني: لو لم يكن الباطل في مواجهة الحقّ ما كانت الشفافية في حاجة لأن ترسّخ مبدأ بين النحن (الأنا والآخر).

ولأنّ الباطل عشعش في مؤسّساتنا وأوطاننا وعقولنا، فمن يا ترى سيكون شفافا ليقول الحقّ، ويَقدِم على وضع أصبعه في عين الباطل وهو واثق بأنّ أصبعه سيعود إليه؟

وعليه: إذا أجبنا عن هذه الأسئلة ترسّخت الشفافية، وإذا تحايلنا عليها فهل يحقّ لنا أن نقول: نعم نحن نتملك الأصابع؟

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف 68 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له (126) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

المؤلّفات

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 ـ البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 ـ البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 ـ البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 ـ مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 ـ إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32 ـ شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

33 ـ يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

34 ـ داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

35 ـ يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

36 ـ أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

37. موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

38. عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

39. محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46. صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67. من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68. من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69. من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70. من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71. الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72. تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73. ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74. موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75. أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76. وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعية، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (126) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.